

سميح القاسم

سأُخرجُ من صورتي ذاتي يوم..

قصائد

مؤسسة الأسوار - عكا

سأخرج من صورتي
فلا تيوم

سميح القاسم

و

سأُخرج من صوري

فلك يوم

(قصائد)

مؤسسة الأسوار - عكا

منشورات مؤسسة الأسوار – عكا

الطبعة الأولى – ٢٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة

الغلاف للفنانة ارينا كركبي

المطبعة العربية الحديثة – القدس – هاتف: ٠٢-٦٢٧٢٥٦٤

فاتحة

ورقٌ.

ورقٌ سيدي.

إنه ورقٌ.

أشتهي ورقاً للكتابة يا سيدي

لم يعد ثمّ متّسعٌ فوق جلدي العتيقِ

كتبتُ عليه طويلاً

وئدوب الجراح القديمة. تلك سطورِي

ليقرأها الناس لو يقرأُ الناسُ جيلاً فجيلاً

سيدي. وثقوب سجاثرِك المطفأه

فوق جلدي، نقاطك فوق حروفي

وإيقاعُ أغنيتي المرجأه

✱

ورقاً. سيدي

أشتهي ورقاً للكتاب

كي أعيد الكتاب

أن موتي دُعابه..

أشودائع

ودائعهم لا تُردُّ ولا تُستردُّ

ولا يدعيها أحدٌ

ودائعهم ههنا..

للأبد!

المذراء..

وُلدت ليلاً في إصطبلِ القاضي الميِّتِ للتوّ. رأْتُ
نصل السكّين على حبل السرّة. (حامت طائفة سوداءُ)
رأْتُ سيفاً يقطرُ في قبضةِ والدها. لم تلتع
"أمّي" أبداً. كانت ثمةَ مرضعةٍ في الإصطبلِ.
وكان أبوها الضخم يحدُّلُ شعرَ المرضعةِ بحدِّ
السيف. يغني ويقهقه مبتهجاً.
كبرتُ. مالَ عليها سائس خيل القاضي الميِّتِ
والحوزيُّ. اغتصبثها شلّةُ زعرانٍ في بيتٍ
مهجورٍ (قبل قليلٍ قصفتُه طائفةٌ..) هدّدها
والدّها بالقتل. وكانَ عليها أن تهربَ سرّاً
للمدن السفلى. عملتُ في الشارعِ (حفظتُ أسماءَ ضحايا
الحرب الكبرى..)
لفظتُها أرصفةً شتّى. مرّ عليها البحّارةُ من كلّ الأقطارِ

كانَ عليها أن تَخْلَدَ للراحةِ. أن تمتثلَ لحكم
القاضي الميِّتِ. كانَ عليها أن تسرَّ عورةَ
والدها مقطوعِ الرأسِ. وعورةَ هذا العالمِ
(عائتها لا تكفي!). ماتت خجلاً.
ماتت ليلاً. ماتت عاريةَ إلا من أوراقِ الأشجارِ
ماتت عذراءً.. يحفُّ بها عشرونَ ملاكاً..

أجندة

بالماء على الرَّمْلِ. وبالنارِ على الثلجِ. ويُكْتَبُ
بالشمعِ على أوراقِ البردي. يُنْقَشُ بالدمعِ
على أستارِ الكعبة. يُحْفَرُ بالليزرِ في جَبَلِ الصَّوَّانِ
للعامِ الثالثِ قبلَ الهجرةِ زارْتَنِي الحمي في النورِ.
فرشَتْ لها جسدي المسكونَ بهاجسِ
كونفوشيوس وبرؤيا يوحنا وعذابِ الانسانِ
للعامِ الثاني قبلَ الهجرةِ فاضَ الوجدانُ
للعامِ الأولِ قبلَ الهجرةِ جَهَزْتُ راياتي والتأم
الشملُ بكوكبةِ الفرسانِ
ألهجرةً في الأوجِ. اكتملَ نصابُ الآياتِ
من يُدْرِكُ فليتبِعْ أعمدةِ النارِ المقلعةَ على بحرِ الظلماتِ
من يُدْرِكُ فليَدْخُلْ في الحمي وليخلدْ بالإيمانِ
ألهجرةً قائمةً. والآتي آتٍ

باسم ثلاثة ألوان
باسم الله القيوم المقتدر الرحمن..

صباح الخير!

لا امتثل الوقت. ولا استجابت النذور
يا نفسي الأخير
عقارب الساعات حول جسدي تدور
وحولها يدور جسدي
وحولة أدور...
ووحدها سلطنة الأبدان وردة النعاس،
كان أن أدركني النعاس،
في حديقة الماورد والبخور
قلت: أنام برهة.. وعبرت دهوراً!
ولحظة استيقظت من نومي،
بالبيجامة المرقطة
كنت شديد الجوع.. ماذا تَظطرُّ النمور؟
وفجأة. رأيت. رأي العين. في المرآة

بجانبِي. بجانب السرير
غزالة تقضم عُشبَ موتها،
في غابة تضجُّ بالحياة
صحتُ: صباحَ الخير. يا غزالة الصُّدفَةِ،
والتهمُّتها في شَغَفٍ،
وكانَ إفطاراً شهياً، لا تُقَا بالنمرِ الجسورِ،
ذي البيجامةِ المرقَّطةِ

✱

لم تَسْعُدْ أسماءُها الأسماءُ
لم يُسَعِفِ الدعاءُ
غَيِّتُ.. لا شتاءُ
لا غيمَ في الغيمِ.. ولا سماءَ في السماءِ
غَيِّتُ بالطبولِ والصنوجِ والزُّمورِ
يا مَلِكَ البذورِ أعطِ موتننا،
ما يوقظُ الحياةَ في البذورِ!
ووحدها سلطانةُ الأبدانِ وردةُ النُّعاسِ،

كَانَ أَنْ أُدْرِكَنِي النَّعَاسُ،
فِي خَنَاقِ الْكَفَاحِ
قُلْتُ: أَنَا مُبْرَهَةٌ لِتَهْدَأَ الْجِرَاحُ
وَشَاءَ أَنْ يُدْرِكَنِي الصَّبَاحُ
وَلَحْظَةً اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي،
بِالْبِيجَامَةِ الْمَخْطُطَةِ
هَلَعْتُ. دُونَ صَوْتِ
مُحَدِّقًا بِالمَوْتِ..

حَوْلَ حِمَارِ الْوَحْشِ فِي الْمِرَاةِ
تَحَلَّقَ النَّمُورُ وَالْأَسْوَدُ وَالضَّبَاعُ
وَقَبِلَ أَنْ يُعَيِّنَنِي النُّطْقُ،
عَلَى تَحِيَةِ الصَّبَاحِ.. أَوْ تَحِيَةِ الْوَدَاعِ
كَانَ حِمَارُ الْوَحْشِ،
بِالْبِيجَامَةِ الْمَخْطُطَةِ
إِفْطَارَ أَصْدِقَائِهِ.. فِي غَابَةِ الْحَيَاةِ

✱

يا سيّداتي سادتي.. الأبرارَ والخُطاةُ

يجدُرُ بالإنسانِ في الإنسانِ،

أن يجتنِبَ البيجامَةَ المرقَّطةَ

ويحذِرَ البيجامَةَ المُخطَّطةَ

يجدُرُ بالإنسانِ.. أن يتامَ عارياً...

GOOD NIGHT

أغنية حب فلسطينية

تقتلني الغربية عن يديك
يقتلني الشوق إلى عينيك
فافرّش بساطَ الريح
كوفيةً نسيجها من وطني الجريح
تطيرُ
لا حاجزَ، لا شرطة، لا تصريح.
تطير بي إليك.
فإنني مشتاقة
مشتاقة
يقتلني الشوق إلى عينيك
ناديتُ..
من أنت؟
لست فتى أحلامي
ولست نجماً سينمائياً

على صورته أبوحُ بالغرامِ
ولستَ طيفَ فارسٍ
يأتي على حصانه
من عالم الأوهامِ
ناديتُ..

من أنتُ؟

أنتَ الذي أسندتَ ظهري
في وجوه العسكرُ
أنقذني من غازهمُ
منديك المعطرُ
عصبتُ بالزنايقُ
جُرحي،

وأطفأتَ على جبينَي الحرائقِ
فصرتُ فيك أقوى
وصرتُ فيَّ أكبرُ
وإنني مشتاقَةٌ
مشتاقَةٌ

يقتلني الشوقُ إلى عينيكُ
فافرُشُ بساطَ الريحِ
كوفيةً من وطني الجريحِ
تطير بي من حائطِ البراقِ
من قيامة المسيحِ
تطيرُ بي إليك..

*

دعني أشمَّ الحبقَ البيتيَّ في زنديكُ
دعني أرح خدِّي على كُفِّكُ
لأنني أُحبُّكُ
وأنني أُحبُّكُ
ينبضُ فيك قلبي
ينبضُ في قلبكُ
وإنني أُحبُّكُ..

يا أنت يا عاصفة الشوارع
يا غضب الساعات
يا لهب الرايات

يا شهوة الخُصرة في المزارعُ
يا وجع المخيمُ
يُسفر في انطلاقةِ الملتئمِ
يا بسمّة الليلك في حديقةِ المدامعِ
وإنني مشتاقةٌ مشتاقةٌ
يقتلني الشوقُ إلى عينيكُ

✽

أُفرشُ بساطَ الريحِ
كوفيةً من وطني الجريحِ
تطيرُ،
لا حاجز لا شرطة لا تصريح
تطير بي إليك
تطيرُ بي، تطيرُ بي،
إليك..

(تلحين: سرانديس كساراس
غناء: ريم قلحمي)

إعلان نوايا

ليس لي في ذمة العالم شيءٌ
غير موتي مرتين
مرة، عمداً وعن سابق إصرارٍ
ومره

خطأً، في فن تفسير الكلام
خطأً، في غرفة التعذيب من أجل السلام
فعلى السجن السلام
وعلى الأرض السلام
وعلى السجنان والسجن المسرّه
*

ليس لي في ذمة العالم شيءٌ
غير موتي وانبعاثي
بعد موتي وانبعاثي بين بين

ليس للعالم عندي أيُّ دَيْنٍ
غير ما أضمرُّ من شكٍّ
وما أعلن من حزنٍ وحسره
عندما تعرض ثدييها على التجارِ حرَّه
وعلى ساحة ثوارٍ يتامى
تأكلُ الثورةُ ثوره!

✱

ليس للعالم عندي أيُّ دَيْنٍ
غير ما ينزفه القلبُ
وما يعزفه الحبُّ
وما ينسفه الرعبُ
بلغم الشفتينُ

✱

ليس للعالم عندي
غير ما يلفظه برقي ورعدي
في متاهات "متى" ؟ "كيف" ؟ و "أين" ؟

ليس للعالم عندي أيُّ دين

✱

وانا اعترفُ الآن،

بأنِّي، صاحيَ العينين والقلبِ

شربتُ السمَّ من كأسِ الأخيره

وأنا آخرُ أبناءِ عشيره

ذهبتُ فيمن ذهبُ

من قرونٍ غادرتُ بيدَ الجزيره

وانتهت في قبضةِ الرومان والفرسِ أسيره

وقضت فوق الشعاراتِ

وما بين البياناتِ

ومن تحت الخطبِ

ذهبتُ فيمن ذهبُ

واسمُّها، قيل.. "عرب" !

✱

وأنا مغتسلٌ من وسخِ السيرك

ومن فسق الصياغة
في مواخير البلاغة
لست في اللعبة فلتصهل إذن
ما تشتهي الصيصان
والميدان
لـ "حميدان"

ولتنعم سُلالات الطويسيين
ولتلعب بأمن مُستتب
فأنا أرفض أن يسُرَّ عُرِّي
أيُّ ثوبٍ غير ثوبي
وأنا أسأل ربِّي
لا تقابلني إذا جئتُ بوجهٍ مستعارٍ
وبشعرٍ مستعارٍ
وبشعرٍ مستعارٍ
وأنا أرفض تهريج أخينا المتنبي
ورياء المتنبي

ونفاق المتنبى
ولجوء الملك الضليل والوعد امرىء القيس
إلى أقرب عرّبي
نحن من نبع
ولكنّا افترقنا.. من مصّب لمصّب!

✱

أصدقائي... "إن يكن لي أصدقاء!"
يا رفاقي البؤساء
يا أشقائي اليتامى الأشقياء
ليس لي أن اكتب النار بماء
وأنا لا أتقن الرقص احتفالاً
بسقوط الشهداء
وأنا لا أسرق النار، فحسبي
قبضة من جمرها ناري ونوري
وابتدائي ومصيري
ورحيلي ونشوري

✱

وأنا، يا إخوتي " إن لم تكن أمِّي عاقراً! "

أنا بالحاضر كافرٌ

وأنا لا أشتري بطيخة المستقبل المجهولِ

إلا، مثلما قيلَ، " على السَّكِّينَ "

فالصفقةُ تاريخٌ وشعبٌ

وبلاذٌ ومصائرٌ

✱

وأنا أشهرُ حُبِّي

مرةً أُخرى

شهودي الخلقُ والخالقُ

في عرسِ دَمي أشهرُ حُبِّي

لشبابيكي وأشجاري وأنهاري وشعبي

ولأطفالي وموالي وآمالي ودربي

✱

ليسَ لي في ذمَّة العالم شيءٌ

غيرَ موتي مرتينُ
ليس للعالمِ عندي أيُّ دَينٍ
جئتُ من قلبي
وأمضي كيفما أمضي، إلى قلبي
... بلاد الله.. قلبي!

سرطان الجسد

ماذا يحدث؟ يتهدج ضوء مخبول. يتراكم
خلف كواليس المسرح تقنيون صغار. يلسعهم
صوت المخرج "يا حمقى. أين مهارتكم؟" بعد
ثوانٍ يبتدىء العرض. اكتظت بالجمهور الصالة
. هيا.. أين العارضة المغرورة؟ تتأخر دوماً عن
موعدھا. "متعنتها أن تهرأ أعصابي. صاحبة
جلالتها تملك قلوب العالم. ماذا يعنيها لو
ضربت قلبي السكته؟"

✱

وجلالتها،

تمتقع إزاء المراة. طيور سوداء ترف على
جبهتها. وتحقق ثانية في النهدي المتورم. أوراق
الورد الذابل تتناثر حول الورد الطازج.. حول
القدمين الحافيتين. وتجذبها دومات الرعب إلى

القاعِ الداكنِ. قصرُ الأحلامِ الشاهقُ ينهارُ
عليها. تصرخُ وتلوبُّ على زينتها. كفاها
ترتجفانِ على رفِّ المرآةِ المحبَطِ. تسقطُ قارورةُ
عطرٍ باريسِيٍّ فوق رخامِ الحمامِ الباردِ. تجرح
قدميها الحافيتين شظايا القارورة. تهرعُ لليودِ
ويندلقُ النهْدُ المتورِّمُ في المغسلةِ الورديةِ
من يُسعفها؟
من يُسعف عارضة الأزياء؟
سرطان الثدي يفاجئها في أوجِ الشهرة. في عزِّ
الموسمِ. يقرعُ طبلُ الموتِ الضخمِ. ومن
يُسعفها؟. تتهدَّلُ في هاوية اليأسِ ذراعاها
تبكي في صمتٍ. تصرخُ في صمتٍ. تنتحبُ
بلا صوتٍ. وتغيِّمُ الأشياءُ
من يُسعفها في مجدِ تناثرها. في الوردِ الذابلِ؟
في خَبَلِ الأضواءِ؟
من يُسعفُ عارضة الأزياء؟!

خمس نجوم..

أَظَلَّ عَلَى رَمَادِ الْأَرْضِ
مِنْ نَجْمِ الدَّمِ الْخَامِدِ
وَصَاحَ " مُحَمَّدٌ الْعَابِدُ " (*)
لَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِيَادِرَ قَرْيَةٍ صَغْرَى
مَنَازِلَهَا مِنَ الطِّينِ
وَطَاحُونًا عَلَى نَبْعٍ
وَمَعَزَى فِي سَفُوحِ الْمَلِّ،
تَحْتَ رَنَازِ تَشْرِينِ
وَأَطْفَالٍ حَفَاءَ،

فِي كُرُومِ اللُّوزِ وَالرَّمَّانِ وَالتِّينِ
لَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ وَطَنًا بِخَمْسِ نَجُومٍ
أَبَاحُوا لِلْجَرَادِ سَنَابِلَ الْقَمْحِ
وَبَاعُوا سَكَّرَ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ،

بحفنتي ملح
وباعوا زندق الموشوم.
لأنك لم تكن وطناً يليق بلكنة الأعراب
بكوك بأدمع السينما
على تلج،
على ويسكي،
على أرداف راقصة
تهزُّ لهم فتضحكهم
وتبكي.. وحدها تبكي
وتوصد خلفها الأبواب
لأنك لم تكن وطناً
مضوا في غير ميعاد
ليأتوا دون ميعاد
كأنك في أقاصي الأرض
خان سائب الأفعال وهمي
ومرحاض عمومي

إذن. فليسكنوا زمناً
يطوّح خارجَ الزمنِ
وَكُنْ ما شئتُ يا وطني
وَكُنْ ما شئتُ يا وطني
لأنك لم تزلْ وطناً
بخمسِ نجومٍ
أجوب الأرض،
لكنّي أعودُ لزنْدك الموشومِ
لأنك لم تزلْ وطناً
لأنك لم تزلْ.. وطني..

✽ محمد العابد - شاعر شعبي فلسطيني من قرية البعنة الجليلية، نسبت اليه ازجال كثيرة تبدأ بالقول "يا صاح محمد العابد" .. دون تأكيد مما اذا كانت له اولسواه. وهكذا، تجسدت في هذا الشاعر الشعبي شخصية " الراوية " الفولكلورية متداخلة بشخصية الشاعر نفسه.

تعريف

قبل عصر الظلام

نحن كنا معاً،

كنت حواء أخرى، وكنت أنا آدمًا

جذبت الحشرات،

قرناً، لعقد، لعام

*

قبل عصر الظلام

كان سهلاً على الناس،

تعريف معنى الغرام

دون شك.. وما من كلام

نحن كنا على الأرض

معنى الغرام

قبل عصر الظلام!

مقهانا

قبلَ يومٍ، ساعةٍ، ثانيةٍ،

قبلَ عشرينَ سَنَةً

كانَ مقهانا جناحاً حالمًا بينَ السحابِ

ولنا في زحمةِ الروادِ كُرسِيانِ:

وردُّ.. وشبابٌ..

✱

قبلَ يومٍ، ساعةٍ، رَقَّةِ هُدْبٍ،

قبلَ عشرينَ سَنَةً

عَرَّشْتُ في رُكنٍ مقهانا،

ورَشْتُ عطرَها في راحتينا سَوَسَنَةً

وفرَحَّنا بالغيابِ

بينَ كأسينِ

وأغصانِ دخانٍ وفراشاتِ ضبابٍ

✱

بعد عشرين سنة

خطفْتُني من تفاصيل الحياة المزمّة

ذكريات اللحظة المحتقنة

خطفْتُني صوب مقهىنا فلم أعثر عليه

ليتنى.. يا ليت.. لم أرجع إليه

لم يعدّ عشّاً على غصن السحاب

صار.. بوتيكَ ثياباً!

رُخْصَامُ لَمُوتِكَ

لا تعودني من الردى. وليكن لي
ما تكونين في غدي المضمحل
وليكن لي وهم يشع ويخبو
زبدًا مولعًا بحنقة رمل
أنت ما أنت. في حياة وموت
وأنا ما أنا، وبعدي كقبلي

✱

صعقتني طقوسنا ذات صيف
فاحترفت الشتاء في كل فصل
أفقًا واطئًا. وبرقًا، ورعدًا
وصقيعًا. والقلب بالوجد يغلي

✱

فمك الميت قال للموت صمتي

والحياةُ الجحيمُ ضجّةُ قَوْلِي
أنتِ بالموتِ خُنْتِنِي فتغرّبتُ
يتيماً في الأرضِ من دونِ أهلِ
عاصفاً، عاصفاً، جنونُ مناخي
لوثةُ منكِ يا حبيبةَ عقلي
حولنا الأرضُ والوجوهُ وفينا
رقصةُ الجنِّ للخرابِ المملِّ

✱

أيّ ذنبٍ يا بنتُ نحنُ اقترَفْنَا
ليقولَ القضاءُ: " ظلّ. وظليّ " !
كُنْ. فكان الغرامُ كيف اشتهيناه
نهاراً يئنُّ شوقاً لليلِ
وأرادتُ إرادةَ الحزنِ أن تمضي
وأبقى ظلاً يعيشُ لظلّ
ماثلاً مُضمّراً. أضحُ بصمتِ
آخ. من لي في ما أكابدُ. من لي؟

والفُجاءاتُ تدَّعيني . فسيَّانَ لديها
عمرِي المديدُ .. وَقَتُّلي
هكذا نحنُ ، أنتِ تحتِ رُخامٍ
ورخامٌ يمجِّدُ الموتَ حَوَلي
حيثُ مرَّتْ خطاكِ في الأرضِ أبني
من حنيني إليك " تاجَ مَحَلٍّ " !

موجٌ كثيرُ الكلام...

رَسَمْتُ

رَسَمْتُ عَلَى الرَّمْلِ قَلْبًا

وَلَا يَعْثُ الْعَاشِقُونَ

بِمَا يَعْثُونَ عَلَى الرَّمْلِ

لَا يَرَسُمُونَ وَهُمْ يَرَسُمُونَ

رَسَمْتُ عَلَى الرَّمْلِ قَلْبًا

وَفِي الْقَلْبِ.. سَهْمًا

رَسَمْتُ عَلَى السَّهْمِ حَرْفَيْنِ

جَاءَ مِنَ الْبَحْرِ مَوْجٌ كَثِيرٌ الْكَلَامُ

فَمَا مِنْ قُلُوبٍ عَلَى الرَّمْلِ

مَا مِنْ حُرُوفٍ عَلَى الرَّمْلِ

مَا مِنْ سَهَامٍ...

بلا فائدة...

تقولُ "أنا عائدٌ" ..
ويخطفك البرقُ مني
وما بينَ حزنٍ وحزنٍ
أقولُ، يعودُ من الغربةِ الباردةِ
إلى دفاءِ حضني
ولكن.. بلا فائدة!

✱

أقولُ "أنا عائدةٌ" ،
ويخطفني الموجُ من ساعدَيْكَ
وما بينَ حُزني عَلَيَّ
وخوفي عَلَيْكَ
أقولُ "أنا عائدةٌ" ،
لأطبعَ قلبي على شفتَيْكَ

ولكن.. بلا فائدة!

✱

تمنَّيتُ ظِلَّكَ بَيْتاً

على تَلَّةٍ مُبْهَمَةٍ

وفي شَرْفَةٍ مِنْهُ،

ترصُّدُ قَافِيَةٍ.. مَلْحَمَةٍ

ووَحدِي أَكُونُ لَكَ الْمُلهِمَةَ

وما بينَ كَأْسٍ وَكَأْسٍ

وما بينَ كَأْسٍ وَقُبْلَةٍ

ورِقَّةٍ نَحْلَةٍ

على زَهْرَةٍ وَاعِدَةٍ

وما بينَ بَيْتٍ وَبَيْتٍ جَدِيدٍ

وقَبْلَ اكْتِمَالِ النَشِيدِ

أُعِدُّ لَكَ المَائِدَةَ

وتَحْمِلُنِي للفرَاشِ على سَاعِدِيكَ

مع العَتَمَةِ الوَافِدَةِ

تَمَنَّيْتُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي
وَمِنْ كُلِّ حَزْنِي وَشَوْقِي وَرُغْبِي
تَمَنَّيْتُ.. لَكِنْ.. بَلَا فَائِدَةَ!

✱

لَكَ اللَّهُ، كَمْ شَرِدْتَكَ الدُّرُوبُ
وَرَاءَ الدُّرُوبِ
وَرَاءَ غَزَاكَ الشَّارِدَةُ
لِيَ اللَّهُ كَمْ حَاصَرْتَنِي الْقُلُوبُ
عَلَى نَارِ مَدْفَأَتِي الْخَامِدَةِ..
لَنَا اللَّهُ.. وَجْهَيْنِ لِلْغُرْبَةِ الْوَاحِدَةِ!

✱

تَقُولُ "أَنَا عَائِدٌ" ..
أَقُولُ "أَنَا عَائِدَةٌ" ..
نَقُولُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَرْقُ
فَكُلُّ احْتِمَالَاتِهَا وَارِدَةٌ!
نَقُولُ، حَبِيبِي، نَقُولُ نَقُولُ

نقولُ، ولكن.. بلا فائدة

بلا.. فائدة!

موسيقى: منير بشير
ألحان: بشارة الخلّ
غناء: ريم شمشوم

إنطفاء كلاوديوس

على ضفة النهر مزرعة للكلام
قليل من التمر والبرتقال
وماء شحيح يسحُّ على صخرة الرعب مما
يكونُ

شيوخ. قساوسة وربانيم،
والنهر يَضمُرُ شيئاً فشيئاً
ويرحلُ سربُ طيور شمالية لن يعودَ
إلى قصب يابس. لن يعودَ
إلى سفر مرهق دون جدوى.

✱

على ضفة النهر فجوة لغم قديم
وطفل بلا قدمين،
يشاهدُ في ساحة الدار أرنبة وكُراتٍ

ويحلم قفزاً ويئأسُ عدوا

✱

أنا كلاوديوسُ

أنا طفلُ مزرعةِ النهرِ،

بايعني سادةُ القومِ قيصَرَهم

لا التباسَ

أنا كلاوديوسُ

ملكِ الزمانِ المتوجُّ بالحزنِ

حاشيتي ثعلبي وحصاني وستونَ أفعى

وآخرُ حكامِ آخرِ شبرٍ من الأندلسُ

أنا كلاوديوسُ

أخذتُ وأعطيتُ رذحاً من الوردِ والشوكِ

بُحتُ كثيراً وأقفرْتُ.

لا قمحَ للقولِ. لا ظلَّ للحلمِ.

ما من ندىٍّ للقطافِ

وما من سلالٍ وما من عنبٍ

ولا ماءً للبوح.

لا عشبَ بين طموحِ دمائي ويأسِ الخشبِ
ضمرتُ. ضمرتُ.

فلا قمري مبصرٌ نخلةَ اليدِ
طالعةٌ للنهارِ

وما من شمسٍ
تسحُّ عثاكيلُها بحليبِ الذهبِ
وأقفرتُ من حاجبي
وأهدابِ عيني
أقفرتُ من شفطي

وكفي
وانكفأتُ بي خطائي
رياحاً تهبُّ،

ولا تستثيرُ أناشيدها شهوةً
في صبايا القصبِ
ولا بحّةً في زفيرِ الأراغيلِ وجداً

ولا أَنَّهُ من عذابَاتِ نَائِي
وَهَوْلِي المَخَاضَةُ
حَوْلِي المَفَازَةُ
ما من جَوَادٍ وما من لَجَامٍ
وَضَاعَتْ قِلَاعِي
وَضَاعَتْ ذِرَاعِي
وَضَاعَ ضِيَاعِي
وَأَوْعَلَ فِي هَلَامٍ الهَلَامُ
أَحْطَمَ أَجْرَاسَهُ وَيَحْطَمُ تَرْقَوَتِي
وَأَنْثَرُ فِيهِ الحَطَامَ وَيَنْثَرُ فِي الحَطَامِ
أَنَا كِلَاوَدْيُوسُ
على باب روما الرَّمَادِ القَدِيمِ وَقَفْتُ
وما فَتَحْتُ قَلْبَهَا
وَقَالَتْ " سَتَمْلِكُنِي جَسْداً "
إِنَّمَا حَرَّمْتُ حُبَّهَا
على ملك تَوَجَّهَتْهُ عُرُوسُ النِّهَارِ

بإكليلِ نورٍ
ولكنَّه اختارَ عرشَ الظَّلامِ!

أنا كلاوديوسُ

أنا زوجُ روما الكلامُ

وآخرُ حكامِ آخرِ شبرٍ من الأندلسِ

أنا كلاوديوسُ

أنا كلاوديوسُ..

لم ينتبه رجلُ الفضاء لوردة حمراء تشعل في حريقِ
الغيم شهوته، استدار، وظلّ منشغلاً برائحة الوقودِ
وظلّ منهمكاً بعُطلِ طاريءِ

والأرضُ نائيةٌ

وليس له هناكُ

إنسٌ.. وليس له ملاكٌ

لم ينتبه رجلُ الفضاء، هُنيهةً تكفي ليعبرَ
عُمرهُ الأرضيُّ، هوذا يمسدُّ شَعْرَه المبتلُّ بالشيبِ
المفاجيءُ

ويطوفُ من زرٍّ إلى زرٍّ، يضيقُ فضاءُ قمرته عليه
ولا منارات هناك ولا موانئُ

لم ينتبه رجلُ الفضاءُ

وذوتُ عليه الوردةُ الحمراء، وانطفأتُ سفينتهُ

وغابت نبضه من عنقوان الأرض في مجد السماء
لم ينتبه رجل القضاء..

رماد السكر

رمادٌ على حفنة الماء، وردُّ الحديقة تشعله شهوة الماء. أولاد هذا
الزمان المشاكس لا يسمعون الكلام ولا يعبأون بورد الحديقة. لا
بأس. هذا الرماد رمادي. رمادي على قهوتي (حمّصوا بُنُّهم فوق
ناري العريقه)

وقالوا "تبيحك بُنّاً بورد الحديقة" !

ولا بدّ من حفنة الماء. لا بدّ من قهوة الصبح حفنة ماء بكأس ترابٍ
وحفنة بنّ بكأس تراب ومن جسدي الجمر للقادمين من الثلج
شوقاً لدفع الجدوع الحريقه

وفي هذه النار ما يهب البنّ نكهته. أشعلوني إذن مثلما تشتهون.
على مهلكم قلبوني بإيقاع السنة النار كي ينضج البنّ. هذا الرماد
رمادي. رمادي على قهوتي والحقيقه تشرب قهوتها برماد
الحقيقه

رمادي على حفنة الماء في قهوة الصبح. بنّ الحياة العدوّة يبحثُ
عن سكرٍ في رماد الحياة الصديقه..

صورة والدين راحلين على جدار منزل جديد

أبي. يتململ في الصورة الآن. هذا حفيفُ عباءته. تلك تكآت ساعته
الأوميچا. إنه الآن يرمقني راضياً عاتباً قلقاً. وأبي يُطلق الآن بعض
الأنين المكابر. تهرع أمي إليه تمهّد راحتها للجبين المغضن بالنزع.
تعطي الوسادة قلباً رصيناً. أبي يتململ في الصورة الآن. أمي
تغادر صورتها لتطوف قليلاً بأرجاء منزلنا الجبليّ، تباركه وتحنُّ
لبيتٍ قديمٍ تركناه للذكريات وأصغر أبنائها. تتذكر أيام أسرتها
الخاليات وتسقطُ من ذقنها دمعاً في كتابي الجديد

وأذكرُ خوف أبي من رحيل ابنه شاعراً في الفضاء البعيد
ولم يكره الشعر. كان شديد الولوع بصرصعة المتنبي ويأنف
من نزوات النواصي. لم يكره الشعر لكنه لا يريد لأبنائه مهنة
الشعر. أذكر كم قال لي كن طبيباً إذا شئتَ أو فانصرف للمحاماة
يا ولدي إنما الشعر لا يُطعم المرء خبزاً. وأذكرُ أذكر وجهاً من
القمح والورد في راحتين تغيبان شيئاً فشيئاً تغيبان تحت ركام

الجلید

وأخرجُ من صورتی ذات یومٍ وأُسَلِّمُ وجهی لنفسِ جدید..

تعب الممادِن

إذن بلغتُ شأوها رحلتي. وانتهيت إلى حيث كان ابتدائي. قطعت
المحيطات واليابسه

على شهقة القشة اليائسه

وأتقنت كل اللغات ودجّنتُ خيل الجهاتِ وروضتُ حزني كما
تشتهي الكرة البائسه

إذن أن لي أن أدخّن ما ظلّ من جسدي. أن لي أن أقول كلامي
الآخر وأوصدَ كهفي على سرّ أسرارهِ وأعيدَ إلى أهله حارسه
جناحي في البحر. ريشي ثقيلٌ.. إذن فلأصعدُ قليلاً. هنا الشمسُ.
ههذي النار تأخذ ريشَ جناحيّ شيئاً فشيئاً إلى كوكبِ الحاسّة
السادسه

وها أنذا أتلاشي رويداً رويداً.. وأهوي على الصخر. لا أبصر
الصخرَ في غبش اللحظة الناعسه إذن.. بلغتُ شأوها رحلتي..

وحدوه!

لم يعد للعجيبة ماءً فلا خمر يا أصدقائي. سكرنا كثيراً وغازت
عيون المياه

وانتهى مهرجان العجائب واكتملت دورة في الزمان لتبدأ من
بدئها أحجيات الحياه

لم يعد للعجيبة ماءً فلا خمر..

والرب في مجده قائم. وحدوه

دائم بجلالته.. مجدوه

لم يعد للعجيبة ماءً فلا خمر في الماء لا ماءً في الخمر لا شيء غير
العذاب القديم ووجه الإله

وشظايا انتباه

وبقايا صلاه

مجدوه..

وحدوه..

وحدوه..

الشرففة العالفة

لا بُدَّ لى؁

كى أبصر الأعجوبة النائفة

وأبصر الأعجوبة التالفه

لا بدَّ لى

لا بدَّ لى من شرففى العالفة!

النفضة

تُدخِّن؟

أين ترى سوف تنفض حزنك

أين ستعفي من الكائنات

رماد سجاثرك الراحلة

وليس على الأرض متسع

أين تنفض أوجاعك القاتلة؟

– على كوكبي المستميت

وفي نجمتي الأفلة..

أجل ليس ثمة متسع لرمادي

على هذه الكرة الأهلة..

مقطع من محضر تحقيق

- وكيف تسمّي البلاد؟
- بلادي
- إذن تعترف؟
- أجل سيدي أعترف
- وما أنا بالسائح المحترف!
- تقول بلادي؟
- أقول بلادي
- وأين بلادي؟
- بلادك
- وأين بلادك؟
- بلادي
- وقصف الرعود؟
- صهيلُ جوادي

- وعصف الرياح؟
- امتدادي
- وخصبُ السهول؟
- اجتهادي
- وكبرُ الجبال؟
- اعتدادي
- وكيف تسمّي البلاد؟
- بلادي
- وكيف أُسمّي بلادي؟
- بلادي..

في هجاء أبراهيم

لم تكن رجلاً منصفاً. لم تكن رجلاً. أنتَ دمَّرتَ سيِّدةً فاضله
ذنبُها أنها حملت منك نطفتك الآقله
لم تكن عاقلاً. حينَ قايضتَ أسرتك العاقله
بالجنون البهيمي والنزوة الجاهله
سيِّدي. لم تعد سيِّداً منذَ أغوتك أفعى النساءِ التي شرَّعت بآبِها
وأضاعت مصاييح شهوتها كي يرى السابله
زينهً وبخوراً على سدة الشبق القاتله
لم تكن رجلاً حينَ هُمت يداك بطفلٍ صغيرٍ
وذبحت الضميرَ
لم تكن رجلاً. لم تكن آدمياً سوياً على صورة الله يا سيِّدي. لم
تكن سيِّداً كنتَ ما كنتَ. ما أنتَ.
يا سيِّدي لم تكن غيرٍ وغدٍ حقيرٍ..
بين فخذه صحراؤه القاحله..

والأعيب غانية سافله
لم تكن سيّداً
لم تكن رجلاً..

إقرأأي.. راحتي الكتابُ
لحضورى وللغيابُ
واحفظيني، تلاوةً
كلُّ ما دونها سرابُ
أنا يا بنتُ كاهنٍ
زوّجَ الشمسَ للضبابِ
وتخطى صلاةً
زاهباً حيثُ لا زهابُ
حاملاً كبرياءه
في ثوابٍ هو العقابُ
آخ يا بنتُ. آخ من
لعنة الصمتِ في العذابِ
فاقرأيني، وأشعلي

شهوة البرق للسحاب
واذكريني مهاجراً
من تراب.. إلى تراب

نساء النبيذ

النساء اللواتي عَصَرْنَ بأقدامهنَّ
نبيذ المعنَّق من ألفِ عامٍ وعامٍ
يستعدنَّ كؤوسي الجديدة، يا صاحبي
ويُعدنَّ الغرامُ
صحوّة. في عناقيدها سكّراتُ المُدامِ
وصنوفُ الجوى وصروفُ الهيامِ

✱

ووجوهُ النساءِ القديّمات. يا صاحبي
ونشيدي الحلالُ وصمتي الحرامُ
دمعةٌ فوق خدِّ الغمامِ
مسحّتها الرياحُ
ليطلَّ الصباحُ

وينام الكلامُ المباحُ

✽

صاحبي. آخ يا صاحبي. آن لي أن أنامُ

آن لي

أن أعيد نساء النبيذ الى الكرمِ

كرمِ الكلامِ

والسلام..

نجوم كعك العيد

عائدٌ عائدٌ

وبأية حال يعود إلى حالنا العيدُ؟

مرتبكاً مرةً. جامحاً مرةً.

ذاكراً ناسياً

عارياً كاسياً

إنما يُقبل العيدُ في موعده!

مستعيداً ثيابَ احتفالاته

من رفوف خزائنه ومطاوي احتمالاته

داعياً أمسّه،

للطعامِ المعدُّ له في غده

يُقبل العيدُ في موعده

بنجومٍ من الكعك، ينثرها نجمةٌ نجمةً

تتساقطُ أزهارها من قميص الغروب

فوق عُري الشعوبِ

✱

يُقبل العيدُ منبهرًا،

ويوزع كعك الخطايا

على طبقٍ من ذنوبٍ

واهباً خوفاً نجمةً نجمةً

نجمةً

للصغار الذين يموتون جوعاً على الأرصفة

في ظلال البنوك

وأجهزة الأمنِ والمعرفة

نجمةً للحبالي اللواتي يبعن المواليدَ

قبل الولادة،

للأسر المترفة

نجمةً لشهيد يرى كيف تُمحي صكوك الشهادة

كيف يُتقنُ تزويره خبراءُ القرايا

كما يشتهي خبراءُ السرايا

وكيف تصير الإرادة
لا ما تشاء الإرادة
لجنود يرون ازدياء البلاد التي تزدري حربهم
فيشاءون لا ما تشاء القيادة
نجمة للبكاء
في سجون النساء
نجمة لأفول الشباب الحزين
في زنازين طاغية،
ولدته التواريخ في غفلة من كتاب السنين
نجمة لطيور البراري التي نسفت عشها
طلقة البندقية
للزهور التي حاصرتها الصناعات
وامتهنت لونها الشهوة المعدنيّة
في رنين الكؤوس الثريّة..
نجمة لمرضة ضربت موعداً للحبيب
إنما لزمّت شغلها

لثُعَيْنَ المَرِيضَ الكَثِيبُ
في غِيَابِ الطَّبِيبِ..
نَجْمَةٌ للصَّبِيِّ الذِي مَزَقَتْ وَالِدِيهِ،
قَذِيفَةٌ طَائِرَةٍ جَامِحَةٍ
قَرَأَ الْفَاتِحَةَ
وَأَعَدَّ لِإِخْوَتِهِ لَقْمَةً،
ثُمَّ رَافَقَهُمْ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ
مُرْهَقًا بِالسُّؤَالِ الْمَلُوعِ عَنْ عَمَلٍ
فِي بِلَادِ الدِّمِ الْمُفْلِسَةِ..

✱

نَجْمَةٌ لِلصَّبَايَا اللَوَاتِي يُوَدُّ عَنْ عَشَّاقِهِنَّ الصِّغَارُ
فِي الرِّحِيلِ وَرَاءَ أَسْرَةِ أَطْفَالِهِمْ،
حَيْثُ يَمْضِي الْقِطَارُ
نَجْمَةٌ لِأَسَى الْإِنْتَظَارِ
وَعَذَابِ الْحِصَارِ
نَجْمَةٌ لِلْمَقَرَّاتِ تَلُو الْقَرَارَاتِ حَوْلَ الْقَرَارِ

للصياغات في هيئة الأمم الساخره
بأضابيرها و دساتيرها
ومواخيرها العامره
نجمه لرجال المطافيه في النوبه الثانيه
لسلامهم. لخراطيمهم. لصهاريج خوفهم القانيه
نجمه للأب المترمّد في النار،
بين ذراعيه تصرخ طفلة الناجيه
نجمه للمقيمين في شرطة السير
بين الحديد المعجن والجثث الداميه

*

نجمه لمذيعات C.N.N وللبسمه السابيه
في ختام التقارير عن نكبة
ضربت قرية نائيه..
للمذيع الأنيق بأخباره الكابيه
للمغتني والراقصه
ولسمفونيا ألمي الناقصه

ولهذا الغلامِ المبعثرِ "مايكل جاكسون"

لثورِ "مدونا" المناوبِ

ولثوبِ "مدونا" المشاغِبِ

✱

نجمةٌ للزمانِ الضريزِ

في المكانِ البصيرِ

بالدعاياتِ للبيبيسي كولا

ومسحوقِ سائو الخطيرِ

ولرابسو العليّ القديرِ

✱

نجمةٌ لنساءِ المذاتِ في شرقِ آسيا

حُملنَ على الشاحناتِ،

من الموقعِ العسكريِّ الذي حرّثه بنادقهنَّ

(انتهت ثكناتُ المليشيا.. وصارتُ وكوراً

لمافيا السياحةِ والهيروينِ

وغدتُ رايةَ الثائرينَ على الأجنبيِّ اللعينِ

خرقة عند باب الزمان الهجين
وانتهى جنرال الكفاح
قائداً للسماسرة المتخمين
تاجراً للنساء، ومستورداً للسلاح!

✱

نجمة لبقايا بقايا الضمير
نجمة للوجوم
بعد حرب النجوم
نجمة لكلامي الأخير
في كتابي الأخير
للحياة التي أشتي أن تدوم
نجمة لدمي
نجمة.. لدمي..

لفز إغتيال يروفيسور "س" في معهد الفنون الجميلة

صرختُ عاملةً التنظيف في رُعبٍ. وأهوتُ فوق سطل الماء مغشياً
عليها. أفلتتُ من يدها خرقئها المبتلة الزرقاء. غطى شعرها الأشيبُ
شعر المكسّة.

كان أستاذ الفنون يروفيسور "س" المهيب الملهم المعروف
بالطيبة منهاراً على كرسيه الجلدي في المكتب. والسكين في
الصدر إلى المقيض. كاللوحة ملقاة على الحامل. بعضُ الأحمرِ
القاني على جانبها الأيمن من أعلى يسحُ. ارتعشتُ عاملةً التنظيفِ
في البدء. تلاشتُ لحظاتٍ قبل أن تستوعب المشهد. كانتُ صرخةُ
الرعبِ ملاذ الوهلة الملتبسة.

هُرِع الطاقمُ والطلابُ. واستدعوا رجال الشرطة. انسلَّ من الحشدِ
غُلامٌ زائعُ العينين. لم يفطن إليه أحدٌ. سارَ على العشبِ وثيداً. ثم

غَطَّى وَجْهَهُ الشَّاحِبَ بِالْكَفِّينِ. وَاسْتَلْقَى عَلَى الْمَرْجَةِ مَغْمُوراً بِدَفْعِ
النَّسَمَاتِ الْمَشْمِسَةِ.

وَعَلَى الشَّرْفَةِ فِي الْمَعْدِ بِنْتُ تَتَعَرَّى لَذَبُولِ الشَّمْسِ وَالْوَرْدِ.
وَتَبْكِي لِلْعَصَافِيرِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ لَوْحَتِهَا الْأُولَى إِلَى الشَّرْفَةِ.
تَبْكِي:

كَيْفَ لِي أَنْ أُدْهَشَ الْأَلْوَانَ مِنْ بَعْدِكَ يَا مَوْلَايَ؟ مَنْ يُسْعَفُ
فَرَشَاتِي عَلَى الْخَوْفِ الرَّمَادِيِّ؟ وَمَنْ يُرْشِدُ قَلْبِي فِي بَسَاتِينَ
الْغَرَامِ (الضَّوْءِ وَالظِّلِّ) وَمَنْ يُنْصِفُ حَزَنِي؟

بَعْدَ مَوْلَايَ الَّذِي عَلَّمَنِي أَنْ أَمْزِجَ الْأَشْيَاءَ كَيْ أَسْتَخْرِجَ الْأَلْوَانَ فِي
حُبٍّ. فَتَصْحَوْ مِنْ مَوَاتِ الْأَرْضِ. تَصْحَوْ وَتَصَلِّي وَتُغْنِّي
أَيُّهَا الْقَاتِلُ يَا مُخْبِرَ أَحْزَانِي عَلَيَّ

أَغْمِدِ السَّكِينِ فَيَا

وَأَرْحَنِي!

✱

تَمْتَمُ الضَّابِطُ: لَا شَكَّ بَأَنَّ السَّيِّدَ الْمَغْدُورَ لَمْ
يَحْسَبْ حَسَابَ الْقَاتِلِ الْآتِي إِلَى مَكْتَبِهِ. لَا بَدَّ مِنْ

معرفة سابقة تقترح الأستاذ للقاتل . لا بدّ إذن .
من ههنا الجاني . فمن يستنطق الجنّة؟ من
يكشف السرّ؟ لهذا اللغز بابٌ واحدٌ . لو تفتح
الجنّة هذا الباب لانفك حجاب الأحمية
ولعادت من ركاب الأسر والمنفى خفاقاً ، واستردّت
روحها الألوان . وارتدّت إلى الفرشاة أسرار
القماش الفاتح المبخوع بالصدمة . وامتدّت خيوط
النور فوق الكدمة المستعصية .

✽

أدخلوا عاملة التنظيف مستشفى المجانين . وعادوا
واجمين . انطفأوا في الصمت . صلت طفلة في
ساحة المعهد جُنَّازاً خريفياً . ونثت لوحة (فيها
ملاكٌ خُلاسيّان) بالأحمر . وانتال الرماذ
لم يُصدّق! هلّع الرسام . فانسَل من اللوحة وجه
زائع العينين . ما شأن الغلام الباهت المنسل
بالمغдор؟ هل كان هو القاتل؟ هل للمقبض الدامي

إلى أغواره السود امتداداً؟

✱

طالَ تحقيقُ رجالِ الشرطة. امتدَّ عقوداً دونَ
جدوى. يئسَ الضابطُ. لم يُسَعِّقْهُ في فضٍّ
غموضِ الغرِ خيطٌ من دليلٍ.
قال للقاضي العصابي: تعبنا سيدي القاضي.
تعبنا. دونَ هذا القتل، سرٌّ مستحيلٌ
غَضِبَ القاضي. وألقى اللومَ في سخطٍ على
الشرطة. منهاراً على كرسيِّه الجلدي.
والضابطُ (في اللوحة) مُغَبَّرٌ ذليلٌ

✱

أطفأوا النورَ على المنبر. شكراً مجلس الأمن.
وشكراً، ووداعاً. نامَ حراسُ الميادين. وفي
الفجرِ أتتُ عاملةُ التنظيفِ للشغل. وحيَّتُ حارس
المحكمةِ الجهم. فلم ينبسْ بحرفٍ. دلفتُ
بالسطلِ والمسحةِ المبتلةِ الأهداب. كان المكتبُ

الثالثُ بعد البهوِ مفتوحاً. دنتُ منه (لماذا بَكَرَ
القاضي؟) ودَوَّتْ صرخةُ الرعبِ فخفَّ الحارسُ
الجهمُ. وخفَّتْ شرطةُ الحيِّ. وفي صمتٍ ثَقِيلٍ
باشَرَ الضابطُ تحقيقاً عصابياً لحلِّ اللغزِ في
معضلةِ القاضي القَتِيلِ

.....

كانَ منهاراً على كرسيِّه الجلديِّ. والنصلُ إلى
المقبضِ في الصدرِ. من الناحية اليسرى. وما
زال الدمُّ القاني من اللوحة مبهوراً
يسيلُ..

لا يعرفون السنديان

لَهَوَاتُهُمْ بُحَّتْ. جَلَوْتُ طَبُولَهُمْ قُدَّتْ. وَنَتْ لِعَابُهُمْ
مِنْ شَهْوَةِ الْأَبْوَابِ نَتْ سَدَى..
سَدَى هُمْ يَنْشُدُونَ لَهُ الْمَدَائِحَ
ذَاكِرِينَ صِفَاتِهِ الْحَسَنَى،
وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ السَّنْدِيَانِ!

✱

هَرَأُوا النَّهَوْضَ إِلَى الْمَنَابِرِ
وَالْغَطْسَ فِي لُجَجِ الْمَحَابِرِ
بَحْثًا عَنِ الْكَلِمَاتِ فِي صَدَفِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ
تَوَقًّا لَوْ صَفَّ السَّنْدِيَانِ
لَكُنَّهُمْ،

لا يعرفون السنديان!

*

كتبوا على الأشجار سيرتهم

وحزوا في الجذوع طريقهم

سهماً يحثُّ السهم،

قالوا في سريرتهم:

"سيتبعنا الخلود إلى مضاجعنا الأخيرة!"

هَلَّلُوا للنرجس الحاني على أوشالهم

كتبوا قشور الوهم،

والتجأوا إلى أسرارهم

لم يفقهوا ما تُضمّر الغابات في سرّ الفصول

تعرّت الأشجار من قشر الخلود- الوهم

ضاع السهم تلو السهم

من جهة إلى جهة وراء الريح

ضاعت في اختمار الأرض بالأمطار،

بالقشر المبعثر في الجهات

-جهاتهم ضاعت-

وضاعوا في المكان بلا مكان
ضاعوا بلا صخب
وقيل مضوا وقيل قضوا،
لأنّ قلوبهم خفت بعيداً عن حدود النار
وانطفأت على حدّ الدخان
ولأنهم،
لا يعرفون السنديان!

✱

لم يحلموا سيراً على الأقدام في الأحرار
لم تخذش نعوّمّتهم نثوء البر
من شوك ومن عشب فجائي
ولم يصغوا لعزف الريح في صالات خالقها،
استضافوا الورد في الصالون
واختلقوا مروجاً من عروق الشمع والجبس الملون
صعدوا جبلاً بلا عرق يسح على عمود الظهر
صاغوا الصخر من ورق مقوى

قانعين بنعمة التشبيه
منكفئين للصُّورِ الملوّنة الصقيلة
في مجلّات الصبّاح
مطرّزين بخارَ قهوتهم بعصفورٍ على الشبّاك
لم يخذلهم الحبرُ المدجّنُ
في السباقِ بلا رهانٍ
بين الأصابع واللسانِ
شغفاً بوصف السنديانِ
لكنّهم،
لا يعرفون السنديان!

✱

نشدوا الرثاء،
استنشدوا الشعراء
قليلَ رثاؤهم صعبٌ،
وهم قتلى من الأفلام في السينما الرديئة،
ينطقون شهادة الشهداء وفق النصّ والسيناريو،

للمخرج المجهول أن يفتأهم بالكث...
يسحبهم مُساعِدةً من الديكور،
مبهورين. منتفجين في دور الفدائي المُلطّخ بالدهان
وخبيرة المكياج تُغدق قطرة الدمع المفبرك
للممثل والمُشاهد،
إنَّ شبَّاك التذاكر أفقُّ أرض الله قاطبةً،
وآخرُ لعبةٍ في السيرك آخرُ فرصةٍ للبهلوان
في وصفِ سحرِ السنديان
لكنهم،
لا يعرفون السنديان!

✱

خَرَجُوا من الأرياف والمدن الوضيعة
باحثين عن الطعام
في مَشَقَلِ الأيدي الرخيصة
واستقرّوا في الكلام
بين المصابيح الغربية والظلام

وَأَسْتَنْطِقُوا، فَتَمْنَعَتْ لُغَةً
وَأَرْئَجَ بَابَهُ جُرْحٌ عَمِيقٌ
وَأَسْتَقَامَ الزُّورُ وَالْبَهْتَانُ لِلنُّطْقِ الْمُنَمَّقِ
وَأَسْتَعْدَّ الْمَهْرَجَانُ
لِإِزَاحَةِ الْحُجُبِ الْكَثِيفَةِ عَنْ خُبَايَا السَّنْدِيَانِ
لَكُنْهُمْ
لَا يَعْرِفُونَ السَّنْدِيَانِ!

*

سُبْحَانَ رَبِّ الْحَزَنِ وَالْكَلِمَاتِ
يَمْنَحُ ثُمَّ يَمْنَعُ كَيْفَ شَاءَ
سُبْحَانَهُ فِي رَمْلِهِ الْمُتَحَرِّكِ الْمَنْصُوبِ مِيزَاناً
لِيَوْمِ الدِّينِ،
فِي أَحْكَامِ دَوَامَاتِهِ الْعَمِيَاءِ،
فِي سِرِّ الْمَشِيئَةِ وَالْقَضَاءِ
سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ
فِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتاً

وفي الأمواتِ أحياءُ
وفي المتلجلجين التائهين على الفضاءِ بلا قضاءٍ
الضائعين من المكان الضائعين على الزمانِ
للجُّنارِ دعايةٍ فيهم
وللزيتونِ مهزلةٌ
وحزنٌ ساخرٌ في البيلسانِ
ويفاجئون السنديانِ
بالنومِ، في قيلولةٍ خرقاءَ.. خارجَ ظلِّه
ويغازلون السنديانِ
بهياكل العظم المعرّى في شقوق الطيلسانِ
ويمجّدون السنديانِ
ويعدّدون صفاته الحسنى،
وهم،
لا يعرفون السنديانِ
لا يعرفون السنديانِ
لا يعرفون السنديانِ!!

في رثاء أبي الحسن المرينيّ

(أثناء زيارة سميح القاسم للمغرب، رافقه موظفان من وزارة الشؤون الثقافية هناك في جولة بين أطلال مدينة "شَلّا" التاريخية، على ضفة نهر "الرقراق"، مقابل مدينة "سَلّا" العريقة والمفعمة بالحياة، على ضفة النهر المقابلة. في جوار أطلال أحد المساجد القديمة، نبة المرافقان المغربيّان ضيفهما الشاعر إلى أنه يقف على بعد ذراع أو أقلّ، من قبر الملك المغربيّ أبي الحسن المرينيّ، أحد ملوك بني مَرين الذين انقضت بضعة قرون على زوال ملكهم.

وكان أبو الحسن ملكاً شجاعاً وفارساً مقداماً وراعياً كريماً للحضارة العربية الإسلامية في ذلك الرباط الباسل على تخوم أوروبا. إلى جانب القبر الطلل المهمل قبران طللان مهملان لعقيلة الملك أبي الحسن المرينيّ ونجله.. وكان للمشهد البائس الموضع أن يفتح من جديد جرحاً قديماً في أعماق الشاعر...)

وقوفاً به صاحبي.. وقوفاً بهذا الطلل
ألا ولنُخَفِّفَ هُنا الوطءَ يا صاحبي،
أديمُ الثرى جسدٌ للملكِ عظيمٍ
لواعجُ نَدَبٍ قديمٍ
تَمَرَّسَ بالموتِ بين السيوفِ
وبين الحروفِ
وليسَ هُنا الموتُ خطباً،
ألا إنَّها، صاحبي، الحياةُ
الحياةُ على الذلِّ خطبٌ جَلُّ..
وقوفاً بذكرى السرى المجلِّ، نَسْرٍ "مَرِينُ"
وقوفاً بقبر الملكِ المَهِينِ
لعلَّ بكاءَ الضميرِ المَعْدَبِ، يوقظَ أحياءَنا المَيِّتِينَ!
*

وقوفاً به صاحبي.. وقوفاً بهذا الطللُ
فمن أبَدٍ لم يضعْ،
آنَ أن نستعيدَ الأزلَّ..

وقوفاً به، وذّراني مع القبر،
أسكّب عليه دموع اغترابي
وأنثُرُ وروءَ عذابي
وأكثُبُ على مرمز الوهمِ بأسِ المراثي وحزنِ الأملِ
وذكرى الملكِ البطلِ..

✱

أخاطبُ قبرك
يا أيها الملكُ المغربيُّ العريقُ
أخاطبُ سرّك جَهراً
ليسمعَ عَسْفُ العدوِّ وخوفُ الصديقِ
لعلَّ القبورَ الجديدةَ تصغي
وجذوةُ أمواتنا تستفيقُ
لعلَّ سياطِ الهوانِ
تحركُ صمتَ العروقِ
أخاطبُ قبرك،
حزني الرياحُ وصوتي الحريقُ..

✱

على شاطيء الأطلسيِّ التقينا قديماً،
مشيتُ إليك
مشى المتوسطُ فيَّ، إليك
وسارتُ على حُطواتي صحارى العربِ
وسارتُ صلاتي معي،
ومشتُ أغنياتي إليك،
وطارتُ على جانحيَّ حروفُ الذهبِ
إليك. على شاطيء الأطلسيِّ البعيدِ
لنفتحَ في ظُلُماتِ المسافةِ باباً..
سألتُ: "أتهدرُ بالعربيَّة؟"
قلتُ: صلاتي صلاتُكَ
كنتَ فتياً كقلبي
وكنتَ قوياً كشعبي،
لكزتَ جوادكَ عبر المضيقِ،
وحطَّ بُراقكُ نجماً على الساحلِ الإيبريِّ،

وحطَّ بُراقِي

على نجمةٍ في المدارِ الذي لم نَجُسْ

وقيل لنا: إنها الأندلسُ!

ألا فلتكن وردةً للرحيلِ وتقاحةً للتعبِ

وضوءاً لشمسِ العلومِ

وعطراً لعُرسِ الأدبِ!

✱

وعشنا طويلاً،

بنينا قلاعَ العبادةِ والمجدِ والكيمياءِ

عَرَسنا مآذنَ أحلامنا خلفَ حدِّ الفضاءِ

وقُلنا حدائقنا. واستضأنا،

بنارِ محابِرنا.. وبنورِ السماءِ!

✱

وعشنا طويلاً،

أبا الحسنِ الشَّهْمَ.. فَهَدَ "مَرِينَ"

وعشنا طويلاً،

ولا تاجَ للملِكِ، غيرَ الكتابِ
وتوقِ العطاشِ
إلى ما وراءَ السَّرابِ..
أبا الحسنِ الشَّهْمَ.. قُيِّلَ "مَرِين"،
اجترَحنا الحِياةَ على الموتِ جِيلًا فجِيلًا
وعشنا طويلا
تشيَّدُ.. لا للثوابِ
وأمدحُ.. لا للمديحِ
ونفترعُ المستحيلا
فماذا استباحَ الصَّهِيلا
ومنذا أضاعَ الصُّلِيلا
وكيفَ استحالَ الموشَّحُ،
بعدَ الصُّداحِ البهِيِّ نواحاً ذليلا؟

*

أبا الحسنِ انهضُ من الموتِ حيًّا جميلا
وأصغِ إليَّ قليلا

وحدِّقْ من القبرِ . حدِّقْ قليلاً
لئُبصرَ بي
ماثلاً دونَ أنقاضِ قبرك .. حيّاً، وظهري
ينوءُ بأنقاضِ عمري
بعبءِ ذراعين في الأرضِ،
بيتي .. وقبري !

✱

سواسيةً نحنُ صرنا .
أبا الحسن الشَّهمَ، قبركَ تذوي عليه الزهورُ،
وما من ربيعٍ
ويذوي دمي في بلادٍ تضيعُ ..
سواسيةً نحنُ صرنا،
مليكاً أطاحَ به الموتُ تحتَ الترابِ
وشاعرَ مُلك
يطيحُ به الموتُ فوقَ الترابِ
ألا أيهذا المرينيُّ يا صاحبي،

أخذتني الحرائقُ دهرًا،

وكلُّ الذي ظلَّ منِّي

شرارةٌ حزني

تضيءُ.. ولَمَّا نُسُ

هنا.. وهنا.. أُنْدُسُ!

✱

قليلٌ تُرابك،

أعلمُ أن ترابَ الجسومِ قليلٌ

وأن الملوكَ رعايا لدى الموتِ

أعلمُ أن التواطؤَ بين الردى والزمانِ

ثَقِيلٌ

وأبكىك..

أبكى وأعلمُ أن بكاءَ الرجالِ الرجالِ

انكسارٌ نبيلٌ

وأنَّ التأسِّيَ يا صاحبي مستحيلٌ..

وأبكىك.. أبكىك..

زاهلة عن بكائي اللقالقُ
حارسة الموت حولك
منشغلاً عن بكائي النخيلُ
بما تفعلُ الكاميرا في يديّ سائحٍ
من بلادِ الفرنجة
يا صاحبي اختصرتك المقاديرُ في صورةٍ
يتسلى بها العائدون إلى مجدهم من رحيلك
يدرسها عالمٌ كلفته بك الأرخيولوجيا،
ولهذا الصديق القديمُ
إقامته في الجحيمِ
وثورته في الجحيمِ..

✱

قليلٌ تُرايك،
يا أيها الميتُ الحيُّ،
حقاً.. قليلٌ تُرايك،
لكنه آخرُ الأسئلة

وهاجسُ حَبَّةِ قَمْحٍ تَتَنُّ:
أريدُ نهوضاً من الموتِ..
في سُنْبُلَةٍ
أريدُ نهوضي من الموتِ..
في سُنْبُلَةٍ!!

أميرة الأس

لجوادي أن يستريح قليلا
من جموح الجنون جيلاً فجيلاً
ولناري أن تستقرّ على جمر متاحٍ
حسبته مستحيلاً
كم بلادٍ فتحتها بيتٌ شعرٍ
وسماءٍ طويئها منديلاً
فليكن لي على يدك ابتداءٌ..
لانتهاً على يدك جميلٍ
وليكن لي ألا أعيش قتيلاً..

لجوادي أن يستريح إلى حفنة ماءٍ
وبين كفيك نهرٌ
وهب الأس مجده والنخيل

فامنحيني من نعمة الماء عُمرًا
سلسبيلًا،
قَسْتُ هَجِيرَةً حَزَنِي واغترابي
وكنْتُ، لو كنْتُ، بيتي
وسلامي، وكنْتُ ظلي الظليلا
يا ابنة الآسِ، والآسى،
قتلتُنِي من قديمٍ في كربلاء المراثي
قتلتُنِي سلطانُهُ الوجدِ وَجْدًا
فابعثيني بلمسةٍ مِنْكَ حَيًّا
وفتيًّا. وحالمًا. وجميلًا
واذكريني. وانسي إذا شئتِ
حَسْبِي أَنِّي كنْتُ في رضاكِ نزيلا
واذكريني. وانسي إذا شئتِ
حَسْبِي أَنِّي الآنَ لا أقولُ كلامًا
أُنْذا الآنَ،
من سماءِ دموعي وندى الآسِ

يهمسُ اللهُ في قلبي صلاةً لله
أبكي خشوعاً

وأصلي تغريبي ترتيلاً
وبك الآن استهلّ صلاتي
وبك الآن لا أقولُ كلاماً
باسمك الآن قلتُ: لا، لن أقولاً!
فخذيني من الصلاة شهيداً
وأضيئي على ضريحٍ وليٍّ،
بدماء نذرُها، قنديلاً
واقبليني مشرداً ضليلاً

لجواني أن يستريح قليلاً
ولقلبي أن يستريح قليلاً
ولحزني أن يستريح قليلاً
ولموتي أن يستريح قليلاً
فابعثيني إلى الحياة قليلاً

واخلُدي أنتِ في الخلودِ طويلاً
حسبي الآسُ في الفراقِ. ونذري
لشفيعي بشط دجلة، خضري،
وشموعٌ تسري على الماءِ ليلاً
ونهاراً على سراكِ تسري
ودموعٌ ظننتُها لن تسبلاً
يشهدُ الله أنني أتمنى
عن جميل الحياةِ صبراً جميلاً
وبك الآن، لا أقولُ كلاماً
باسمكِ الآن قلتُ: لا. لن أقولا!

جمرة...

وأخيراً،
شهواتٌ جيدةٌ للتبغِ الجيدِ
نارٌ حازقةُ الطعمِ
دخانٌ في أرجاءِ العزلةِ
يتلوى شبقاً وإثارةً
هاتوا لي الشمس، رجاءً،
جسدي يتشظى في جسدي
أزلاً يتشظى في الأبدِ
وأريدُ الجمرةَ
كي أشعلَ سيجارةً
هاتوا لي الشمس.. رجاءاً!

كل أسمائهم..

ياخذون عليّ انتمائي إليّ

واحتقائي بصوتي

واكتفائي بموتي

أسفي. آخ يا أسفي،

كل أسمائهم،

سقطت من يديّ!

إيمان

يعرفُ الحبُّ
ما يجهلُ الملكوتُ
يعرفُ الحبُّ
أني وُلدتُ على دينهِ
وعلى دينهِ
سأُمتُّ!

موجةٌ وكثيب

يُذَكِّرُنِي يَأْسُ عَيْنِكَ بِالْبَحْرِ
كَانَ اجْتِيَازِي الصَّحَارَى إِلَيْكَ سَرَاباً
أَنَا ابْنُ الصَّحَارَى فَمَالِي وَالْبَحْرِ
مَوْجَكَ شَيْءٌ
وَشَيْءٌ كَثِيبِي
وَجِئْتُ بِكُلِّ اشْتِهَاءِ الرَّمَالِ
إِلَى حَفْنَةٍ مِنْ زَبِيبِ
وَكَأْسِ حَلِيبِ
حَضَرْتُ وَشَاءَ الرَّدَى أَنْ تَغِيبِي
أَنَا ابْنُ الصَّحَارَى...

مطرٌ على كشك الصحف

مطرٌ فجائيٌّ على صحفِ الصباحِ
مطرٌ،

يسحُّ الحبرُ من لغةٍ على لغةٍ
تغيب ملامحَ المانيكان عن وجهِ الغلافِ
ويختفي وجهُ الرياضيِّ الفخورِ بكأسه الأولى
يذوبُ الكحلُّ في عيني ممثلةٍ
ينزُّ الأحمرُ القاني
وتنفتحُ الجراحُ
في صفحة الآراءِ
يغلقُ بابُ الكشك الصغيرِ
مطرٌ،

على العدد الأخير...

سقطوا...

كانوا للشاعر قيثارة
كانوا أشعاره
أزهاره
وطفولة شعب وبلاد وحضاره
كانوا
خانوا
هانوا
سقطوا من إيقاع الشاعر
سقطوا من بين أصابعه
سقطوا في منفضة الشاعر
سقطوا،
كرماد السيجاره!

فُرَاقِيَّةٌ لِلأَجَنِيِّينَ السِّيَاسِيِّينَ فِي مَقَاهِي أوروپَا

لغةُ بيتِ آبائِها وطنٌ. تدَّعي وطناً غيره. بيتُ
آبائِها لغةٌ غيرها.

لغةُ تدَّعي وطناً

تدَّعي وطناً ليس يقرأ فيها سوى الانحناء لدى

صيغة الأمر " أعط - وأثمر لنا! " نحن أسياد

ماويَّة الأرض والطقس. نأمر باسم الحديد

وننقش بالنار أسماءنا في جلود المواليد. جئنا

بنور الزمان الجديد. لتبصرنا في مراياك نحن

الحضارة، نحنُ القصاصُ ونحنُ الخلاصُ

فلتكنْ إن تكنْ كيفما يشتهيك الرصاصُ؟!

✱

لغةُ تدَّعي وطناً ليس يُتَقَنُّ لكانتها الأجنبية، لا

يستسيغ رطانة ضبّاطها. لا يطيق بنادقها
واقترحام عساكرها منزلاً وادعاً. لا مناص إذن من
دمٍ ساخنٍ ساخطٍ. لا مناصٍ
لغةٍ تدّعي وطناً.
وطنٌ يرفضُ
أمةً تنهضُ
وسرايا انتباه جراحائها أعينٌ في الظلام الحضاريّ
لا تغمضُ
وعلى كلّ بابٍ تُدلي يد الرُّعبِ أنشوطه. ولكل فمٍ
قفْلٌ طاغية. والحصارُ حصاران. للحاجزِ
العسكريّ اتجاهاً. لليأس موتان. للموتِ
وجهان. والوطن المستباحُ
واحدٌ وجهه. أحدٌ. كان لا بدّ من خطوةٍ للوراء.
ويخطيءُ نصلُ الرياحِ
عنقاً صاعداً من كهوفِ الظلام الى قممٍ تستميل
الصباحُ

كان لا بدّ من خطوةٍ للوراءُ
ريثما تتآخى خيوط الجهات نسيجاً يليقُ بمجد
اللواءُ

كان لا بدّ من هجرة الرُّسُل الاوفياءُ
ليعدّوا لهم ما استطاعوا..
ولا بدّ أن يعبروا

والزحام شديد على الجسر. والطقس مضطربٌ
وهدير المياه ثقيلٌ بصمتِ الضحايا. ولا بدّ أن
يعبروا. حولهم للغزاة عيونٌ. ومن خلفهم
مخبرون يدسّون مزقة قمصانهم لكلابِ الأثرِ
حولهم خطرٌ دائمٌ داهمٌ من خطرٍ
وعليهم عبورُ البلاد الى ملجأٍ وعليهم تلافي
الضبابِ ونبضِ الحذرِ

كان لا بدّ أن يعبروا بوصايا قياداتهم وضراعات
زوجاتهم. كان أطفالهم نائمين. انحنوا فوق
أعناقهم. كبّحوا لَفَحَ قُبُلَتهم. وتحاشت مواجعهم

سبباً للبكاء. اذن لن يطيلوا النظر
في وجوه الصغار النيام
لن يطيلوا السلام
آن أن يتقنوا هرباً ناجعاً. لجموا حزنهم بالوقار
الرسولي. والتثموا بالصلاة وكوفية من قماش
الظلام
ومضوا في مجاهيل هجرتهم. تحت إبط الدليل
مصائرهم. انما رحمة الله والليل واسعة.
والمنافي مهياة ومقاهي أوروبا القديمة جاهزة
لا انتهاء الصدى وابتداء الكلام.

✱

كان لا بد أن يعبروا. عبروا مقسمين بغريبتهم أن
يعودوا على صهوات الظفر
أو تكون الشهادات ميعادهم بعد نأي المزار ولأي
السفر
عبروا حاملين بأبوابهم. لا تبين بباب القدر

حبرٌ غربتهم بين أجفانهم. في مقاهي أوروبا
القديمة حلت عليهم نبوءاتهم. حرثوا ورقاً
ناصعاً وأهالوا بذار الجنونِ كلاماً يرتبهُ الحزنُ
والخوفُ حرفاً فحرفاً. بكوا لأصابعهم. حوالهم
لغةٌ لا يجيدونها وذهولُ النوادل. أسعفهم بين
حين وحين صديقٌ جديدٌ تغربَ للتو. كانت
تحاصرة الشرطة الأجنبية في بيته. غير أن
عجوزاً من الحيّ شقّت له باب سرّ، على زمنِ
الترك كان ملاذ أبيه إذا طوّق الجند منزلهم
ليسوقوا الغلام الفراري للحرب. كيف تركت
البلاد؟

كيف صبرُ الأهالي بوجه الجراد؟
هل رأيت الجماعة قبل خروجك؟ أمّي المريضة
تقتلها غربتي وأبي رجلٌ.. صابرٌ. غير أن هموم
العيال

يا رفيقي تهدّ الجبالُ

يا رفيقي وغائلة الجوع ذلٌ وحكم الأ جانب داءٌ
عضالٌ

إيه. لا بأس يا صاحبي. دمننا جسرنا بين حالٍ
وحالٍ!

✱

في مقاهي أوروبا التقوا.. طالباً جامعياً من
القاهرة

ومُدْرَسَةً لاحقّتها عيون الجواسيس في القدس
والناصره

وخطيباً من الشام طاردهُ الأجنبيُّ. ورسامه
حرموها نخيل العراق. وعامل عَزْلٍ وشغْيل
صُلْبٍ من المغرب العربيّ الكبير وليبية ثائرة
وأديباً تعلّم من أرز لبنان ما قالت اللغة النافرة
وخليجية شاعره

✱

في مقاهي أوروبا التقوا بين جرحٍ وجرحٍ.

أضاءوا لواعجهم بالدموع العفيفة. لا بدّ من
سخطنا. آخ لا بدّ من نارنا الطاهرة!
واشتهوا قهوة الهالِ والجمرِ من حطب السنديان
اشتهوا صيحة الـ "يا هلا!" فرحوا بمكاتيب
أحبابهم وبكوا حالمين بعودتهم في التوابيت أو
مُشرعين لمجد السموات والأرض راياتهم.
جمعوا حزنهم، إنما اقتسموا الأُرغفة
وعلى قلقِ الحبِّ والحلمِ والموتِ والمعركة
أتقنوا كل لهجاتهم مثلما أتقنوا لهجة الأرصفة
وعلى حُرقة الذكرياتِ وأشواقهم للديار التي لم
تكن في الهوى مسعفة
باركوا ليلهم بالمواويل عن حُبِّ قيس وليلى. وعن
غربة العاشقِ المجحفه..

✱

أيها الليلُ. لا تردع الهائمين على وجههم دونَ
وجه. ويا أيها الليلُ دعهم يعيدوا كما يشتهونَ

مواويلهم

حسبهم انهم تركوا في البلاد تفاصيلهم
حسبهم انهم ههنا لا هنأ. حسبهم انهم يشبهون
ملامحهم في المرايا. يوازن أشخاصهم. إنما
تركوا في البلاد تفاصيلهم، واستعاروا قناعاً
لوجه الرحيل

واستعاروا الخطأ. واستعاروا السبيل
والعزاء الكثير وراء العزاء القليل
أن قلب الدليل
لا يزال الدليل

من مقاهي أوروبا الى منزل في الصعيد الى
منزل في الحجاز الى منزل في الجليل
حسبهم انهم كلما لعبت قريتهم طفلة. ذكروا طفلة
في البلاد الميئمة النائبة
كلما ضوأت شرفة في المنافى استثارت لواعجهم
شرفة في منازلهم باكية

كلّما مسّ أهدابهم طائرٌ في المساء القصيّ
استعادوا عصافير بستانهم وحواكير جيرانهم
واستعادوا أساطير حبّهم الدامية
كلّما فتّحت في حدائق غربتهم وردّة فتّحت بين
أضلاعهم ندبة الطعنة الخافية
كلما ابتسمت لهم امرأة ضحكت في مدامعهم
ساقية

من كروم الغرام العصيّ السخيّ بأدمعته الدانية

..

✱

لم يغب عن هواجسهم وطنٌ ملء أعياده ضاحكٌ،
تحت أصفاده عابسٌ

ومدى عرس خضرته شجرٌ يابسٌ

لم يغب فرحٌ باشتعال الشرايين في سجن طاغية
قلبه سجنه الدامس

لم يغب عن هواجسهم فرحٌ خطفت لونه دمه حين

قِيلَ لَهُمْ إِنْ بَعْضُ الرِّفَاقِ ارْتَشَوْا

وَوَشَوْا

أَسَفُوا لِانْكَسَارِ طُفُولَاتِهِمْ، أَسَفُوا لِمَقَاعِدِهِمْ فِي
زَمَانِ الدِّرَاسَةِ. لِلْحَلْمِ بِالْوَطَنِ الْحَرِّ. رَانَ عَلَى
الْعَيْشِ وَالْمَلْحِ مَا يَشْبَهُ الْمَوْتَ وَاخْتَبَلَ الْهَاجِسُ
وَاسْتَعَانُوا بِبَعْضِ الْجُنُونِ الْحَكِيمِ فَلَمْ يَسْقُطُوا..

لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ فَرْحٌ بَائِسٌ

لَمْ تَغِبْ دَمْعَةٌ لَيْسَ مِنْ مَلَحِهِمْ مِلْحُهَا الْيَائِسُ

❖

لَيْلَةٌ تَتَشَهَّى النَّهَارَ. نَهَارٌ يَتَوَقُّ لِلَّيْلَةِ. وَقْتُهِمْ غَيْرُ
مَا تَعْرِفُ الْوَقْتَ سَاعَاتٌ هَجَرَتْهُمْ، تَتَخَطَّى
الدَّقَائِقُ أَعْوَامَهُمْ. وَالثَّوَانِي فَصُولٌ. وَلِلْحَرِّ
وَالْبَرْدِ حُمَّى وَغَيْبُوبَةٌ. أَيُّهَا اللَّيْلُ يَا لَيْلُ يَا عَيْنُ.
سَبَّلْ رَمُوشَ الْغَرِيبِ عَلَى حُلْمٍ هَادِيٍّ. أَرْهَقْنَهُ
الْكُوَابِيسَ. يَا لَيْلُ يَا عَيْنُ وَالِدَارُ نَائِيَّةٌ وَالْمَنَادِيلُ
نَازِقَةٌ. وَالتَّأْسِيُّ قَصِيٌّ قَصِيٌّ

وبكاء الغريب عزاء عصي

✱

كان لا بد أن يعبروا مرة.. عبروا مرتين

واستراحت توابيئهم. واستراحت بيارقهم.

تاركين لنا ألف دّين ودّين

وأنا طفل راياتهم. وأنا نجل غاياتهم.. وأنا بين

بين

وأنا ماثل دون أبوابك المترقة

يا مقاهي أوروبا انظري. هل ترين على قسماتي

اغتراب رجالي القدامى؟ انظري هل ترين

الحنين القديم الى وطن المحن المسرقة؟

✱

لك شكري الجزيل. احتفيت بثوار أهلي، وغيظي

الجزيل. احتفيت بمن رتبوا فيك قتلي، وصاغوا دعابتك

المكلفة..

يا مقاهي أوروبا انظري يا أوروبا اذكري

عبروا جسرههم.. حاولي الآن أن تعبري
حاولي أن تبوحي بسرّ خطاياك: عادوا من الموت
بالموت.

عادوا من الذكريات التي لم تمت فاذكريهم..
وعادوا فقومي إذن كقري
عن خطاياك. قومي إذن كقري
عبروا.. عبروا.. عبروا..

آن أن تعبري

كقري

واعبري يا أوروبا اعبري..

ألفراء

نحن كنا أخاً وأخاهُ. انتمينا لسرٍّ قديمٍ. ولدنا
معاً نوءمينِ وُلدنا هنا من قرونٍ. لقابلةٍ كافأها
قبيلتنا ببيعٍ ونخلةٍ
قيل: كيف نُسمي الغلامين في زمن التسمياتِ
العجيبة؟

قال أبونا: لهابيل صنوٌ. وصنوٌ لقايين..
قالوا: إذن يستقيم هجيرُ الحياة بظلِّ التعلّة
ونشأنا معاً بخرابِ التقاويم والكائنات. تكاثر
فينا العذابُ المعتقُ في ملّةٍ تلو ملّةٍ.
إيه.. إيه

حسناً، إنهم إخوتي..

إخوتي، بسكاكين فاكهةٍ يسلخونَ فرائي.
فرائي ثمينٌ بأعين زوجاتهم، ويليقُ بحفل

سُواريه!

وعلى مهلهم. بدبايس ربطاتهم يتقبونَ يديّ،

لتسهيل أمرِ مساميرهم، يومَ صلبي على

خشبٍ طيبٍ من بلادِ الجميلة

إيه.. إيه..

ذاتِ حفلِ سُواريه

صاحَ شيخُ القبيلة:

آنَ ان تصلبوه جهاراً نهاراً. ألا إنه ولدٌ كافرٌ

يدّعي العِلْمَ بالفرقِ بين الرذيلةِ في عُرفنا

والفضيلة

كافرٌ يُنشِدُ الشعرَ للناسِ في زمنِ اللغة

المستحيلة

✱

بسكاكينِ فاكهةٍ يسلخونَ فرائي. لكنهم

يهرعون لتقشيرِ فاكهتي بالرماحِ الطويلة

والسيوفِ الصقيلة

وفرائي يدقُّيْءُ أعناقَ زوجاتهم...
حسناً، إنهم إخوتي!

يكفي!

عَبَرْتُ الطُّقُوسَ. جَمِيعَ الطُّقُوسِ

تَجَرَّعْتُ كُلَّ الكُؤُوسِ

وَأَدْرَكَ أَنِّي كَبَرْتُ. كَبَرْتُ

وَأَعْلَمُ أَنِّي أَمَدُّ إِلَى الْمَوْتِ كَفِّي

وَيَرْمِقُنِي صَاحِبِي الْمَوْتِ

يَرْمِقُنِي فِي حَنَانٍ وَعَطْفٍ

يَصِيحُ: "تَرَيْتُ قَلِيلًا!"

وَأَهْمَسُ: "يَكْفِي!"

واحة

خلفَ هذا الكثيبِ لنا واحةً. أمهلوني قليلاً.
أتيحوا اغتسالي ببعضِ السرابِ. تعبْتُ من
الركضِ خلفي لأمسكَ بي لحظةً قبلَ موْتِي.
يا رفاقي ويا أصدقائي القدامى انزعوا جسدي
الظلَّ من ظلهِ الجسدِ. استوقفوه قليلاً لأدركَ
في الوقتِ وقتي

خلفَ هذا الكثيبِ لنا راحةً. أسندوا توقكم
دونَ يأسٍ من التمرِ والماءِ. أصغوا معي لأغاني
البناتِ الصغيراتِ تحتِ النخيلِ ولا تتبعوا
صوتَ صمّتي

يا رفاقي ويا أصدقائي. لنا أن نموتَ كما
نشتهي. إنما لم يزلْ للرجاءِ مكانٌ وراءَ
الكثيبِ القريبِ

ولنا أن يكونَ الغريبُ قريبَ الغريبِ
ولنا واحةٌ
ولنا راحةٌ
في ديارِ الحبيبِ
والذي راحَ منّا. سيأتي
بعد هذا الكثيبُ!

باقعة ورد

لبائعة الورد هذا التوسُّلُ!
أرجوك أن ترسلي باقة الورد باسمي
الى دير راهبة تتذكَّرُ أحبابها الميتين
قُبيل الصليب بيومٍ أخيرٍ
وحلمٍ أخيرٍ
وتبكي على شوك أنقاضهم وتُصلي
لأجل مساكينها...
وتُصلي
لأجلي...

فانتازيا

سأَنْزِعُ عن أمير البحر رتبتَهُ وشارَتَهُ
وأَصْرِفُ فرقةَ الإعدامِ. لا أمراءَ بعد اليومِ
لا إعدامَ للأمراءِ
سأَبْذُرُ في بلادِ الله الغامي
وأنْغامِي
لأَحْصِدَ حنطةَ الأرضِ القليلةِ،
بين نهر النيل والصحراءِ
وأُمنحها نساءَ البدو في سيناءَ
وأهل النوبةِ البؤساءِ
وأَجْنِي التمر من وادي الفراتِ
وأُطْعِمُ الفقراءَ
وأَهْدِي المغربَ الأقصى
حروفاً من كتابِ القدسِ

عابقةً بعطر الغوطة الفيحاء
ويوم الدين تكفيني
شفاعة قتل غول واحد في اليوم
من غيلان هذي الأرض،
بين الماء راتعة وبين الماء
وحسبي أنني بزجاجة المولوتوف
أشعل كل ما في باطن الصحراء من نقط
وما في باطن الإنسان من بغضاء
وحسبي أنني أعطي عذاب الشعر والشعراء
فماً ويداً،
وأنقذ من مواخير الكلام براءة القاموس
فلا روم به تزني
ولا تلغو عليه مجوس
أنا المسكون بالقتلى وبالجرحي
أنا المنذور للأحلام
بالعربية الفصحى

هلا...مرحى!

أغاثتني حليلة مرة أخرى
وقالت لي مباركة: ألا فاعبرُ

بلادَ الله باسمِ الله
وارقُ رايةَ البِداءِ
على الاشياء والأسماءِ

وقالت لي مباركة:
ستنزعُ عن أمير البحرِ رتبتهُ وشارتهُ
وتصرفُ فرقةَ الإعدامِ
لا أمراءَ بعد اليوم
لا إعدامَ للأمراءِ!

✱

سأنزعُ عن أمير البحرِ
رتبتهُ وشارتهُ
وأصرفُ فرقةَ الإعدامِ
وأشهر رايةَ العربِ القدامى

من أقاصي المغرب الأقصى
إلى وادي الكنانة
عابراً أرض الحجاز
إلى بلاد الرافدين
إلى بلاد الشام!
وأعدمُ فرقة الإعدام!!

مريم... لا تلديني يا مريم!

لا تلديني ثانية
روح القدس أبي يتخلّى عني
ويضيقُ المذودُ
يا أمي مريم لا تلديني
أوصدتُ على حزني بابَ الفرح المفتوح
أخطأتُ سبيلي
في وادي الموتِ الغامضِ
بين الجسد وبين الروح
خاصمتُني الفرّيسيّون
وخاتلني الرعيانُ
وتخلّى روحي عن جسدي
وتخلّتُ عن جسدي القمصانُ
ها أنذا يا مريم.. مصلوبٌ عريانُ

ها أنذا

ضاع صليبي الأول بين الصليبان

لا تلديني يا أمي

لا تلديني ثانية يا مريم

يوضاس تكاثر بين الرهبان

وامراتي تغسل قدمي رجل آخر بالطيب

تحقق بصفاتها قدميه وقبري

هذي تستقدم عيد النسيان

✱

في حضرة موتي صحت!

"أحبك يا أمي!"

لكن الله أراد ثمار الحب له

وغلال الإيمان

وأنا يا أمي إنسان.. إنسان

يا مريم

مئي الموت ومنك الغفران

مَوْتِي أَرْهَقْنِي يَا مَرْيَمُ
أَرْهَقْنِي حَزْنُكَ
لَا تَلْدِينِي ثَانِيَةً لِلْمَوْتِ.. وَلَا تَلْدِينِي
يَا أُمِّي مَرْيَمُ
لَا تَلْدِينِي!!

نجم

يَدَاكِ عَلَى كَتِفَيَّ
وَحَصْرُكَ بَيْنَ يَدَيَّ
وَعَيْنَايَ فَيْكِ. وَعَيْنَاكِ فَيَّ
وَقَلْبِي عَلَى شَفَتَيْكِ.. وَقَلْبُكِ فَيَّ شَفَتَيَّ
وَتَحْتَفِلُ النَّارُ بِالنَّارِ
وَالْمَاءُ بِالْمَاءِ
وَالرَّيْحُ بِالرَّيْحِ
فِي مَهْرَجَانِ الْفَضَاءِ الْخَفِيِّ
نُقِيمُ،
وَتَنْسَلُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِنَا الْأَرْضُ
رَاحِلَةً فِي الْمَدَارِ الْقَصِيِّ
وَتُخْبَوِ نَجُومٌ،
وَنَسْطَعُ نَجْمًا
تُهْدِبُ أَسْرَارَهُ الْفَلَكَ الْفَوْضَوِيِّ...

خلف حُلْمٍ ذهب..

لن تطولَ عليه ليالي التعبِ
لن يطولَ انتظارُ أحبائه الميَّتينِ
في ضريحِ السنينِ
إنه موشكٌ أن ينامَ بلا يقظةٍ ثانيةٍ
وتلقَّينِ جُثته الغافيةِ
بقميصِ الحريرِ وشالِ القُصَبِ

✱

لن تطولَ عليه ليالي التعبِ
يا التي أشعلتُ قَمَّةُ
في رمادِ الزمانِ الحزينِ
يا التي هَدَّهَدَتْ دَمَّةُ
بصلاةِ الرحيلِ
والبكاءِ الهديلِ...

... وبماء الذهب
رسمت وجهه
في أناشيده الباقيّة

✱

لن تطولَ عليه ليالي التعب
يا صديقة أزهاره الداويّة
إنه ذاهبٌ،
خلفَ حُلْمٍ ذَهَبٌ...
ذاهبٌ،
دونما نائمة من أسيٍّ أو غَضَبٍ
ذاهبٌ.. يا حبيبته الغالية
ذاهبٌ،
لن تطولَ عليه ليالي التَّعبِ...

نكوص

ثَابَ مِنْ وَعَكَةِ الْمَعْجَزَاتِ إِلَى رُشْدِهِ * إِنَّهُ الْآنَ
مُتَّزِنٌ عَاقِلٌ * وَهُوَ يَا سَيِّدِي رَجُلٌ مَيِّتٌ * رَجُلٌ
مَيِّتٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ * لَا حَقْدَ فِي صَدْرِهِ * لَا غَلِيلَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمِ * إِنَّمَا لَا يَطِيقُ الْبَرَائِكِينَ
خَامِدَةً * لَا يَحِبُّ الزُّهُورَ مِنَ الشَّمْعِ * يَا
سَيِّدِي إِنَّهُ مَيِّتٌ فَاضِلٌ * هَمُّهُ قُوَّةُ أَطْفَالِهِ
وَمَنَاهِجُ تَدْرِيسِهِمْ * ثَابَ مِنْ وَعَكَةِ الْمَعْجَزَاتِ
إِلَى شُغْلِنَا بِصُنُوفِ الطَّعَامِ وَأَزْيَانِنَا *
وَالْتِزَامَاتِ زَوْجَاتِنَا بِالزِّيَارَاتِ وَالْإِتِكِاتِ
وَأَعْيَادِ مِيلَادِنَا * إِنَّهُ مَيِّتٌ مُخْلِصٌ لِلتَّقَالِيدِ *
مَنْضَبِطٌ بِالْمَوَاعِيدِ * أَخْلَاقُهُ لَا غِبَارَ عَلَيْهَا *
وَيَا سَيِّدِي إِنَّ صَاحِبَنَا مُؤْمِنٌ بِالْقَضَاءِ
وَمُعْتَرِفٌ بِالْقَدَرِ

وَهُوَ يَا سَيِّدِي جَاهِرٌ لِّلسَّقَرِ

مَيِّتٌ جَاهِرٌ لِّلسَّقَرِ

مِثْلَ كُلِّ الْبَشَرِ!

عودة

وصاح " محمد العابد "
بعيداً. ميتاً. حياً. قريباً. صاح
خذي ميعادنا الخالد
خذي المفتاح
وعودي أنت للبيت
وخليني هنا جسداً
مسجى خارج الوقت
بلا قبر. بلا كفن
سوى ما شاء لي موتي
وما شاءت وكالة غوثهم من ضجة الصمت
وما شاءت جنازة غربتي
في زهرة القندول والبرقوق والزوفا
وبضع زنايق وأقاح

وصاح " محمد العابد "

على أنقاضه جسداً وروحاً صاحُ

خذي المفتاحُ

وعودي للمدى العائدُ

أنا سُجِّيتُ من زمنِ

بلا قبرٍ . بلا كفنٍ

بعيداً خارجَ الوطنِ

خذي المفتاحُ

وحسبي أن تعودي أنتِ للوطنِ

وحسبي ان تكوني أنتِ في الوطنِ

وكوني أنتِ لي .. وطني !

تلك العابرةُ جُورَ الأس

لها ذِكْرُها في كتابٍ قديمٍ عن العشقِ. صَنَّفَهُ الشَّيْخُ "سِين السَّمَوِّ"
تَبَارَكَ في ما رَأَى وتَنَزَّهَ عن شُبُهَاتِ التَّقَوُّلِ بِالسَّيْرِ المَغْفَلَةِ / لها
آيَةُ الوجودِ في سورةٍ مَقْبِلَةٍ / ولي صَدَقَاتُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ.
لي تِينَةٌ قَرَبَ زَيْتُونَةٍ. طَوْرُ سِينِينَ يَشْهَدُ. لي الكَرَمُ والحَلْمُ. لي
صَلَوَاتُ الكُهُوفِ الخَفِيَّةِ / ومن "سِينِها" تَبْدَأُ الأَسْئَلَةُ / ومن
"أَلْفِي" تَبْدَأُ الأَبْجَدِيَّةُ / وعن شَعْفِي يأخُذُ المَوْمِنُونَ عِلْمَ المَحَبَةِ.
مَنْزِلَةُ مَنْزِلَةٍ / وَبَيْنَ يَدَيْها حَديقَةُ آسٍ تُرْتَلُّ في فَلَكَ العاشِقِينَ.
وتَخْضَرُّ في ظِلِّها سُنْبُلَةٌ / ولي آيَةُ الوجودِ.

والوجودُ لي (الأمرُ لله!) نَحْنُ لَهُ وَهُوَ فِينَا مَشِيَّةً / وتَوَقُّ
وَنِيَّةً / خُرُوجاً على زَمَنِ الجَاهِلِيَّةِ / إلى الكُتُبِ المُقْفَلَةِ /
وسَجَادَتِي ظِلُّها. وَأُصَلِّي / فلا شَيْءَ بَعْدِي سِوَاهَا ولا
شَيْءَ قَبْلِي / سِوَاهَا.. مُرَبِّيَّةِ الجِسْمِ والروحِ في زَمَنِ
العَارِفِيَّةِ! / لها ذِكْرُها في الكِتَابِ القَدِيمِ. ولي ما تَكُونُ

على سُنَّةِ الآسِ. طالعةً من بهاءِ النخيل على جسرِ ضوءٍ
يسمّونه ضلعَ آدمَ. دجلةُ شاهدةٌ أنها منه. لي أن أراها
مساءً على جسرِ آسٍ. من الصالحيةِ يمتدُّ منحنيّاً فوقَ
دجلة. سمّيتُ ظَهَرَ تموز. دشْنَةُ معبراً للجميلة.
قدّسْتُ جسرَ ليلي المعافاة. جسرَ العراقِ المعافى. وجسرَ
الخليجِ المعافى. وبائعته جسرَ حلمي القديم وحزني
الجديد. وحلمي وحزني / وباركتُ قمري البابلي / وها
أنذا بعد ألفٍ وألفٍ أعودُ إليه. ومنه وعنه أغني / وها
هوذا بعد ألفٍ وألفٍ يعودُ إلي / وأولدُ فيه. ويولدُ في! /

*

موشحةً بالضبابِ أطلت. بروقاً على ليلِ صحراء. دوامةً
من رمالٍ تذرُّ بخوراً ومسكاً. أطلتُ بتمرٍ كثيرٍ. تشهى
خطاها الرصيفُ وغازلها كلُّ بابٍ وقلبٍ: "ألا فادخليني
سلاماً" ... تمنّى الرجالُ أصابعها نسمةً من حريرٍ تباركُ
أعناقهم وفراشاً يرفُّ على جمرِ أفواههم. حسدتها الصبايا
الجمالياتُ في حَقَرٍ مستثارٍ. تحسّرَ في شَبَقٍ عابرٍ يافع:

"ليتني نجمة فوق سُرَّتِها. ليتني شرشفٌ للسريـرِ
المنعمِ" .. مَرَّتْ بحزني المعثَّقِ ظامئَةً لقرارة كأسِ إلهية.
حاصرْتُني بناري / وفكَّتُ حصاري / لأصرخُ وجداً
ويغمسني عليّ...: مباركة في النساء. مباركة أنتِ
فلتُثمري ما يشاءُ لك الله من ثمر الحبِّ والمعجزاتِ /
مباركة في النساء. مباركة أنتِ فلتبتديْ كيف شئتِ
الطقوسُ. مباركة أنتِ ولتكتمليْ كيف شئتِ الصلاة /
مباركة في النساء. مباركة حفنة الماء في راحتيكِ. ألا
جَعَلَ اللهُ من مائه كلَّ أحيائه (ربما كنتُ من حفنة الماءِ
في راحتيكِ!) اجعليني إذن راعياً لخرافك. مغتبطاً.
حولَ شَبَابتي تحلُّمُ الكائناتُ / مباركة في النساء.
مباركة في النساء. مباركة أنتِ في شغفي بالحياة التي
زهدتُ بالحياة.. /

*

لها ذكرُّها في الكتابِ. فكيف أزعُ النذورَ الى زكريا المقيمِ
هناكَ لأجلِ نذوري؟ / وكيف أمدُّ جسوري / إلى ربةِ

الآس في شط دجلة. كيف أعانق ناري ونوري / وأظهر
منها خفائي.. وأغمر فيها ظهوري؟ /

*

بلا موعد كان موعدنا بين بين. اقترفنا خطيئة عودتنا ألف
عام وألفاً إلى موعد نسيته المواعيد في ملتقى مكّتي
بالشّام. تذكرت بغدادَ وابنيّة لا تُشَبّه. لكنني لم أسلم
عليها. ولم تفتح جليستي. كان حولي رجالٌ وكانت
نساءً. خطوت بعيداً وراء الضجيج. انتبهت إلى همس
قلبي يئن "انتظرها قليلاً!.." وقفت على طल्ली زاجراً
صمتها المتوسل "من آخر الغيب جئت إليك. انتظرني
قليلاً!"

عقدنا الزواج على سنّة الآس. كان الشهود لفيفاً من
الحزن والصمت والعابرين / وجوهاً بلا قسّمات. وصوتاً
وما من رنين / وقلنا لأولادنا: باركونا.. فها نحن.. ها
نحن نصبح أولادكم في كتاب السنين! /

*

لها ذكرها في الكتاب. لها ذكرها في انحاء النخيل على
شهادتي القدامى. وفي خشعة الشمس راد الضحى
لضريح ولي تقمصني يوم أن بدأت كربلاء. لها ذكرها في
هبوب الرياح من الشرق. في حلم طقل على شاطئ
المتوسط يشتاق للنوم في حضن بنت خليجية أمها من
حسان العراق. ترف مياه الخليج على قدميها وتصد
مرجانة بالآليء قربي وزلفى. لها ذكرها في انكسار
المساء المهاجر. لي حسراتي عليها وصبري الجميل / ولي
"حسبي الله" ... نعم الوكيل /

*

يخاصمني في هواها رجال من الإنس والجن. هيّا اشربوا
من نبيذي المعتق كي تعرفوها. لحرصمكم موسم عابر
في دهوري. وكزمي عصي عليكم. ولن تبصروا ما رأيت.
ولن تقرأوا ما حفظت. ولن تكتبوا ما وسمت. لكم قشرة
الأرض. لي غليان البراكين. لي الحمأ العطر، ساذجة
ريخ أطيابكم. راودوها كما تشتهون. اطرّقوا بابها.

استنطقوا قلوبها / ستمنحُ لهفتكُم لطفها / وتمنحُ أحداقكُم
عطفها / وتحرسُ من حُبكُم حُبَّها / ولا تياسوا.. رحمه
الله واسعة.. والكلامُ / كثيرٌ.. كثيرٌ... علينا السلام... /
تفرّق ما بيننا البيدُ.. يجمعُنا وجعُ البيدِ قيساً بربطةِ
عُنقٍ وليلى بخُفٍّ مُقصبٍ / ولا الوصلُ يبقى.. ولا العقلُ
يذهبُ / قبائلُ أحزاننا من سُراةِ القبائلِ. شيخُ عشيرتنا
الوجدُ. ليلى تُبادلُ قيساً همومَ السياسةِ والشعرِ. طالَ
الحصارُ وطالتْ حبالُ المشانقِ في قومٍ ليلى. ويحزنُ
قيسٌ ويأسى ويغضبُ / ويُرجيُّ ليلى الى ثورةٍ لا تنامُ.
ويوقظُ في ليلها ألفَ كوكبٍ / ويولدها طفلةً بجناحي
ملاك. / وطفلاً على ساحةِ العشبِ يلعبُ / وتحفلُ
الأرضُ في عيد ميلادها من جديد.. وتأخذُ ليلى مداراً
جديداً. ويولدُ قيسٌ جديد. ويرحلُ عن قَمَرِ الآسِ غيهُبُ /
ويضحكُ قيسٌ وليلى. وتبكي الفُجاءاتُ: "لا الوصلُ
يبقى.. ولا العقلُ يذهبُ!" / كلامٌ وما من شفاه. كلام
يرفُّ على الغمُرِ روحاً وصوتاً: "من الثمر أنتَ وسوف

تعودُ الى التَّمْرِ.. يومَ تموتُ تحلُّ البناتُ غمار السنايل
فوقَ ضريحك.. يومَ تموتُ تحلُّ جدائلُها امرأة أنت من
ضلعها.. ويمدُّ الجياحُ أكفأتئنُ الى صنمِ التَّمْرِ.. لا بأس..
يومَ تموتُ ستبدأ رِدَّتُهم. يُسألون بشأنك لكنهم يُنكرون
ثلاثاً ويستنكرون احتفاءَ الشَّموسِ بِشَمْسِكَ / ويومَ
تموتُ يُصلِّي الجنازةُ مُطربُ عُرْسِكَ! " / كلام. يدقُّ يديَّ
على خشبِ الفجرِ. يأخذني من شحوبي الى شرفةِ الضوءِ
- كم ليلةٌ سوف تسهدُ؟ في ليلةِ القَدْرِ أسرارُها يا صديقي.
توضأتَ دهرًا بنارك؟ أحسنت.. لكنَّ في ليلةِ القَدْرِ
أسرارها المطبقةُ / وبعضُ أضيائك لم تبلغِ المحرقةُ /
عليك بصوفِ الكهوفِ. عليك بصوفِ الكهوفِ (حريرك
حنَّ الى الشرنقة!) / وأنتهرُ الحزنَ. آخذُهُ من هدوءِ
السهولِ الى قممِ النارِ والصلواتِ الجريحة. أدخله في
التجاربِ. صنوي يكونُ ويهرمُ في صرختي المُرَهقةُ: /
بعيدانِ نحنُ / بعيدانِ نحنُ / ولا العيشُ يصفو / ولا
الحزنُ يعفو / ولا الموتُ يحنو / بعيدانِ نحنُ.. /

✱

بعيدان نحنُ. لسُبُحَتْنَا أن تثنَّ بأوجاعها في انقراط
أصابعنا للرحيلُ / وتنثرَ حَبَّاتها في صدوع الزلازل. لا
أُختُ رُوحِي تراني ولا يدها في يدي. عطرُها في خلاياي
نبضُ الحقائق طافحةً بالندى والعصافير. " يا أختَ رُوحِي "
أنادي وقد هجعَ الكونُ عمَّا نكابِدُ فيه وعمَّا يكابدُ
فيْنَا. وأصرخُ " يا أختَ رُوحِي " يئنُّ الصدى في الخواءِ
المصفَّحِ بيني وبين التي ذكرُها في الكتابِ القديمِ عن
العشقِ. من أين لي ما يتيحُ الجنونُ؟ ومن أين لي حكمةُ
الفيضانِ (يدافعُ عن موتهِ باختصارِ الطريقِ الى الموتِ)
من أين لي هداةُ الآسِ تحتَ ظلالِ النخيلِ؟ / وما أسبغَ
اللهُ من نعمةِ الصبرِ في سندانِ الجليلِ؟ /

✱

بعيدان نحنُ. ونحنُ أشدُّ اقتراباً من النارِ للنارِ والريحِ
للريحِ والماءِ للماءِ. كيف يكون العزاءُ؟ ومن يُلهم الصبرَ
أهلَ القَتِيلِ؟ / ومن أين لي عصمةُ القلبِ. هذا الموزعُ بين

مهبّ العواصف والنار. هذا الملوغ تحت ركام الخرابِ
الثقيلُ؟ / وكيف أصوغُ الضراعةَ من أجل ما حملتُ
واحتملتُ بها ولها في اختلاط الخطا واختلال المدى
واختبال السبيلُ؟ / وكيف أجاهرُ: يا ربّ لا شأن لي
بالخرابِ المباغتِ بين العراقِ وبين فلسطين. وطّنتُ
نفسي على ما يروقك. ربّي امتحنني كأيوب. لكن أثبّ لي
صوابي وضحككتها في بقايا شبابي. ودمعتها قرب بابي.
ولففتها لاقترابي. وحسرتها لاغترابي. أثبّ لي كتابي
لأحكم عدلاً وأقضي بين المساكين بالحق. ربّ استجب
لدعائي بموتٍ سريعٍ (لأنّي حريصٌ على الوقت!) خُذني
مع البرق. وأنثُر رمادَ رمادي القليلُ / على ذهبِ البید.
وأنثُر على بيتِ أهلي القديم رسيساً من الضوء والملح.
آمنتُ ألا إله سواك. وأنتي الشهيدُ المناوبُ في آخر الأمر. لا
شأن لي بالخرابِ ولا شأن لي بالخرابِ. وتشهدُ أنني قُتلتُ
مراراً وأنتي مراراً بُعثتُ لأقتل. ها هم خصومي يدسّون لي
السّم في الخبزِ والورد. سامحْ خصومي. وها هم رفاقي

الأعزاء هاهم يصبّون لي الخلّ في كأس أعيادهم. وأباركُ
أيديهم. إن لي كبريائي / ويا ربّ دع لي عذابي بشوقي
اليها / وخوفي عليها / ويسرّ لمن قتلوني. واغفرّ لهم.
إنهم أصدقائي!

✱

كما شئت لي يا مليكي العصيّ على الوصف. يا أيهذا
المليك الحبيب. كما شئت لي كان موتي الكثير. وما بين
موت وموت أقيم الشعائر مبتهلاً طامحاً لرضاكَ على من
أحبُّ.. رضاكَ المؤجّل برداً على جسدي وسلاماً على
مهجتي. وأقرب ما وسعت أضحياتي. خجولاً بحزني.
حزيناً بخوفي على من أحبُّ وتوقي الى طاقة في السماء /
وما بين موت وموت أحجُّ كما ترتضيّني. أحجُّ إلى
كربلائي التي جاوزت كربلائي!

✱

وحيداً. بهذا الصهيل الأخير أسير على الماء. روحاً يرفُّ
على الغمر. بعد نهوضي من الموت. أصعدُ ليلاً طويلاً

على درج الليل والريح نحو حديقتها. ربّة الآس. أتبع
أصداء أغنية يائسة / تئنُّ بها زهرة الآس. جسراً غريقاً
الى اليائسة / وأعلم من أين. لكن إلى أين؟ قل لي إلى أين
يا زهرة الآس. قل لي ابتهالات جسمك. قل لي هواجس
روحك. بوحى بما خبأ الحلم في ليل أجفانك الناعسة /
وألقي إليّ الجديلة. بتئري بدون قرار. وماء عذابي
عميق. وقلبي غريق. وناءت عرائس بحر الظلام بقشّتها
البائسة! /

✱

وحيداً. أخيراً. بهذا الصهيل الأخير. بحمى الخيول
السماوية اجتزت بيدي القديمة: يمتّ وجهين. وجه
المليك الحبيب ووجه الأميرة. قلتُ اعترافي أمام الخليفة:
حُبّان في القلب. حبُّ المليك وحُبُّ الأميرة. والقلب فردُّ
صَمَدٍ / وحيدٌ أَحَدُ / ووجهان من أزل قادمين. وحُبّان
يستقدمان الأبد / بهذا الصهيل. بما استجمعتُ أمّة
العاشقين من الوجد في عاشقٍ مُفردٍ. لا يُسمّى. ولا تدّعيه

السُّلالاتُ من والدٍ أو وَلَدٍ! /

✱

وحيداً. أخيراً. يردد مزموره العاشقُ العربيُّ القديمُ:
لتفرِّدْ نسوركَ أجنحةَ المجدِ ثانيةً يا إلهي العظيم.. لتفرِّدْ
فراشاتِ سركَ أجنحةَ الرحمةِ السَّرمديَّةِ. شئتَ فكانَ
الذي كانَ لي. ربُّ أشعلتُ هذي الأصابعَ شمعاً لطقسِ
التهجُّدِ في الوجدِ. صلَّيتُ دونَ كلامٍ لأنَّ الكلامَ حدودُ
وأنتَ العصيُّ على الحدِّ. يا ربَّ مجَّدتُ كلَّ الذين اصطفوكَ
فباركتهم رُسُلاً. واستعنتُ على حسرتي واحتراسي بكلِّ
الذين اصطفيتَ من الأنبياءِ / ويا ربَّ طفتُ بنذرِ المحبَّةِ
بين المقاماتِ. زرتُ القبورَ التي آوت الصالحينَ. ولذتُ
بأُصرحةِ الأولياءِ / قوياً بما شاءَ لي اليأسُ. ممتلئاً نعمةً
طافحاً بالرجاءِ / وما من رجاءٍ سوى أنها تعبرُ الجسرَ من
ضفَّةِ الآسِ. تعبرُ جسرَ الخرابِ. وخلفَ خطاها قوافلُ
مسكٍ وطيبٍ. ومن حولها الحارسانِ نهارُ الصفاءِ وليلُ
الوفاءِ / وآنيةُ الوردِ والتَّمْرِ. شرَّعتُ أبوابَ وهْمي /

لاقرأها في الكتابِ القديمِ عن العشقِ. حرفاً فحرفاً. وأكتبَ
بين حروفِ اسمِها صلواتي. وأرسمَ جسمي / وأجهرَ
باسمي / وأدعوَ للشيخِ سين السموّ تبارك في ما رأى
وتنزهَ عن شبهاتِ التقوُّلِ بالسَّيرِ المغفلةِ / وأطلبَ مشكاةَ
ذاتك. نوراً لذاتي في ظلمةِ الكُتُبِ المغفلةِ / وحيداً أحتدُ /
أصيحُ: مَدَدُ / لَعَلِّي أبصرُ في نورِ وجهك وجهَ الحبيبةِ /
وأسمعُ في نبضِ قلبي البعيدِ خطاها القريبةِ / الهي..
مَدَدُ / حَيَّ! / الهي.. مَدَدُ / حَيَّ! / مَدَدُ / حَيَّ! / مَدَدُ..
حَيَّ! / مَدَدُ.. حَيَّ! /

إذن، أزرعُ الحبق في نواويس المومياءات، وأستعدُّ لسهرتي..

خَدِرْتُ على خشبِ الفؤوس أكفُّهم. خدرتُ. ولم تخدر عزائمهم.
جِئْتُ رجالهم عرقاً ترابيُّ. ولم تقتِرْ ببرد الليل أرحامُ النساءِ..
وُلِدُوا كثيراً. واستعادوا الخصبَ في موتٍ كثيرٍ. هكذا وُلِدُوا على
شظف الحياة وأولدوا ما شاءت الصحراءُ في قحطٍ وما شاء النماءُ
قاماتهم أسلُّ الرماحِ إذا دعا نَقْعٌ. وترتعثُ المغازلُ في أصابعهم
متى عادوا بصيدٍ. أو بشيءٍ من غنائمهم، وينتعثُ اللهيبُ بعطرِ
قهوتهم على نارِ المساءِ

✱

ها هم. أطلُّوا من رمالِ البيد. في اليمنى كتابُ الله زهوٌ فاضلٌ.
وتدربُ اليسرى صقور النور، مشرفةً على أفقٍ وراء الأفقِ،
مُسْرِجةً خيول الهاجسِ الكونيِّ. يا عنقاء. يا عنقاءنا انطلقِي على
الأرضين باسمِ الله. وانعتقي بصوتِ الله. رافعةً أذانَ صهيلكِ

النبويّ ضوءاً للجهات الستّ. جامحة السناكب عبر يابسة وماء.
عنقاء. يا عنقاءنا هذا زمانك فانهضي وصلي رحاب الأرض - من
أوتاد بيت الشعر صاعدة - بأبراج السماء

✱

ها هم. يجوبون الأقاليم الغريبة. صاعدين بدهشة الفتح المبين
وشهوة المجهول. أعينهم تشعّ نجومها السوداء نوراً ناصع
القسمات. ها هم يبدعون الوشم في الأرواح بالضوء الحميم
وعلى الصراط المستقيم

نخل يظلّ شهقة الترحال من شمسٍ إلى أرض ومن أرضٍ إلى
شمسٍ وزاد السّفر من رطبٍ ومن حشفٍ. حليب النوق حسب
الجامحين على رحاب النفس. بيت الله مزدحم. وبيت المال منهمك
بقيء الأمر بالمعروف.. للعلماء قسط الجند. للخلفاء ميراث من
الرايات خافقة على حذر مقيم

الأمر، باسم الله، شوري. واليماني المجرّد في يمين الفارس
العربي مشكاة توهج نورها الهادي على النهج القويم هم
يخرجون الآن. من كهف الخرافة. يخرجون وفي سراياهم غلام

طافحُ ببراءة الشهوات. ينشدُ روحه رجزاً سماوياً تُذهِّبُهُ
الصحارى بانتباهات الضحى. ينثالُ من فلقٍ إلى فلقٍ ومن سَقَرٍ
هلاميٍّ إلى جَسَدِ النعيمِ.

هم يخرجون. إذن سينشدُ عابراً جيلاً لجيلٍ. يخرجون.
إذن سأنشدُ. يا حريرَ الشمس! أوتارُ الرِّبابةِ من شراييني ومنك.
ويا

عرار الليل! بُلِّ فمي بعطرِ أبي القديم!

*

خرجوا. وأنشدُ. يا شعوبَ الأرضِ فاتحدي على خبزي وملحي،
واخرجني فينا. دعي الغابات تفتح للنشيد المشمس العربيَّ أبواباً
على الظُّلُمات.. مُدِّي يا شعوبَ الأرضِ أيديك الكليَّةَ واخرجني فينا
إلى ساحاتنا الكبرى. إلى العربيةِ الفُصحى. تعدَّدت اللغاتُ وواحدُ
نبضُ القلوبِ

والأبجديةُ شرَّقتُ دهرأ. ودهرأ غرَّبتُ. والحلمُ دربٌ واحدٌ فيه
التقتُ كلُّ الدروبِ

وتكاثرتُ صيحاتنا. والصوتُ فردٌ يا شعوبُ

وتلاطمت أمواجنا. والبحرُ فردٌ يا شعوبُ
وتشاحنتُ راياتنا. وتطاحنتُ غاياتنا. وتلاحمتُ آياتنا.. والكونُ
فردٌ يا شعوبُ

خرجوا. وأنشدُ للشروقِ مفجراً بدمي صهيلَ النارِ في حطَبِ
الغروبِ!

ويلمُ أشلائي نشيدُ الوصلِ. من جيلٍ الى جيلٍ. يقطعُ نشوتي
الماموث. نيزكُ شهوتي يهوي على الأردنَّ من ظمأ. يمدُّ الأطلسيُّ
ذراعَه السوداء. يسحبُ طيلسان البنِّ والنعناع عن كتفي. لا يا
غادة الإفرنج. لا. لا تطعني بالمرودِ الفضيِّ خاصرتي. ولا تلجى
خرافة مخدعي المسحور بالدم والذنوبُ

*

أنذا. أمرُّ بها على حَجَلٍ. أُقبَلُ باكياً جذرائها المعشوشبة
وأبتُّها أوجاعَ روعي المتعبَّة
غرناطة اختطفَتْ لياليها حشود الغال وانتحبتْ مقيدةَ اليدينِ على
صرير المركبة
وبكتُ على أشلاءِ شاعرها نوافذ قرطبة

والياسمينه لا تعيش ولا تموت على جدارِ الحزنِ. يا قشتاله التفتي
إليّ. ومسدي بيدك أوتارَ الأغاني المجدبة

آت أنا. آت لكي أمضي. وأمضي كي أعود إليك مغتسلاً بماء الورد.
في كفي كافورٌ ومسكٌ من بلاد الهند. يحتفلُ البياتُ على يدي.
ويطفحُ النهوندُ في بلدي الموشح بالأغاني والمرصع بالمراثي
والمطعم بالحروف الطيبة

هذا أنا تجتاحني الحمى فأسقطُ عن جواد الحلم بالجنات تجري
تحتها الأنهارُ، منحدرًا إلى كابوسِ ناري المرعبة

وتميدُ بي أرضٌ إلى أرضٍ وتسلمني الأعاصيرُ الغريبةُ جثة زرقاءَ
في كفنِ الدمقس، إلى صبايا الريف. تبكييني بناتُ الحي. تندبني
الأرامل: يا غريبَ الدارِ عُدتَ ولم تعد. فانقضَّ غبارَ رحيلك الدامي
على طرقِ المنافى المتربة

وانهضُ الى أبويك من تغريبة الآفاق واحتضن الربابة منشداً
للبنات أغنية المدى المفضي الى جسدين ملتحمين فوق المصطبة..

*

للوردِ والحناءِ ظلُ الحزنِ. للشرفات ضوءُ الأغنية

لأبي وأمي الميتين على أسي الأولاد والتوق النبيل لأمنية
لمقاعد الخشب العتيقة. للمحابر. للدقاتر. للمساطر. بين جدران
الصفوف. لجرن كبتنا القديم. لرتة المهياج هابطة من السفح العنيد
الى ركون الأودية

لدمي مطيعاً صولة الغليان. للأطفال في الساحات. للعمال في
الورشات. للأشجار والأزهار. للقمر المكابر. للدكاكين الفقيرة.
للدواوين الصغيرة. لابن جارتنا المهاجر في ديار الأحجية
ولحسرتي العمياء ضوء الأغنية

ولجلبة الأرق المقيم. وسطوة الحمى. وخبث الموت ظل الأغنية

✱

غامرت في جرحي إلى جرحي. قطعتُ مخاضة التمساح والأفعى.
فصاحتُ بي قبورُ أحييتي القتلى "ستولدُ" .. رددتُ جدرانُ
محرقتي "ستولدُ" من رماد المعصية وتجمهر الشهداء حولي.
يقطفون الورد والتفاح من بستان مقبرة إلى أبواب مستشفى
الولادة مفضية وعلى شحوب شفاههم نغم سماوي ترده
فضاءات الخلود على تخوم الأضحية

للورد والحناء نورُ الحزنِ. للشرفاتِ ظلُّ الأغنيةِ..

*

"من أنت؟" صاح الحارسُ العاتي ببابِ البارِ. قلتُ: أنا سجين
السيدة

وأنا عشيقُ السيدة

وأنا مغني الله والإنسان. أقسمتُ اليمين بربطةِ الياپيون. فافتح
لي لأدخلَ مؤمناً كفرتُ به الساعات في صلفٍ فأخطأ موعدهُ
وولجت بارَ السجن والمنفى. هناك وجدتها سكرى. يشبُّ وحامها
لهباً. وترقصُ في الدخانِ معربةً..

صافحتُ قاتلتي وأفرغتُ الزجاجَةَ في قمي المفطور للشهواتِ
والمفطومِ عن تقاحةِ الأوجاعِ. أفرغتُ الزجاجَةَ في شرابي..
(سأسكرُ أولاً، وعلى مزاجي سوف أذبحُها بكأسي).. أقبلتُ،
وراءَها عامودُ نارٍ. لامستُ جسدي المفخَّخَ وارتمتُ في عمتي
الخرساء. خالعةُ قميصِ النوم. تاركةُ لأيدي الجند ومضاً من
مفاتها.. ولي نيرانها المتجددة.. وعلى بلاطِ البارِ نَحْرَجُنَا جنون
اللحم والويسكي الرديء. وبين أعقابِ السجائرِ. في صراخِ الجند

والبَحَّارَةُ الْأَغْرَابِ، أُولَئِكَ سُخْطُهُ، مَتَجَرَّدٌ سَكْرَانٌ فِي سَكْرَانَةٍ
مَتَجَرَّدَةٍ

أَنَا سَجِينُ السَّيِّدَةِ

وَأَنَا عَشِيقُ السَّيِّدَةِ

وَأَنَا قَتِيلُ السَّيِّدَةِ..

✱

تَتَكَاثَرُ السُّحُبُ الْجَدِيدَةُ حَوْلَ مَنْ تَرَكَوا صَحَارَاهُمْ قَدِيمًا.
سَامَحُوا أَعْدَاءَهُمْ. وَتَزَاوَجُوا مَعَهُمْ. وَمَا عَادُوا إِلَى الْبِيدَاءِ. كَانَتْ
فِي مَهَاجِعِهِمْ، وَبَانَتْ فِي مَوَاجِعِهِمْ، وَهَاهُمْ فِي نَقُوشِ الْمَسْجِدِ
الْأُمَوِيِّ يَحْتَفِلُونَ بِالشَّهْدَاءِ مِنْ آبَائِهِمْ. وَيَهْلَلُونَ عَلَى جِهَاتِ
الْأَرْضِ. هَاهُمْ يَقْرَعُونَ عَلَى الْمَدَى أَجْرَاسَهُمْ. وَيَعِيدُونَ بِمَا وَرَاءَ
الطَّقْسِ. هَاهُمْ يَقْرَأُونَ كَلَامَ "يَهُوَّةَ" غَيْرَ مَا بَدَأُوا الْكَلَامَ
وَيَمَجِّدُونَ بَدَاوَةَ الْإِيمَانِ فِي مَسْكِ الْخَتَامِ

فَلْتُمْطَرِ السُّحُبُ الْجَدِيدَةُ فَوْقَ مَنْ تَرَكَوا صَحَارَاهُمْ قَدِيمًا. وَلِيَكُنْ
لِلطَّلَحِ مَوْسَمُهُ. وَلِلزَيْتُونِ مَوْسَمُهُ. نَخِيلُ اللَّهِ وَالْعَرَبِ الْقَدَامَى دَائِمٌ
فِي الْأَرْضِ قَيُّومٌ عَلَى الْأَوْقَاتِ. يَقَطُرُ مِنْ عَثَاكِيلِ الْبَهَاءِ الْأَوَّلِ

السامي رحيقُ المجد للأجسادِ والأرواحِ . فليفتحْ نخيلُ الله والعربِ
القدامي طاقةً لدعائنا الأرضيِّ، تفضي للسموات الغلا،
وليستجبْ سبحانه لصهيل خيل الحق . وليسمعْ نداءَ المؤمنين
الصَّيد، فرسان الحضارة والسلام
ولثمطر السحبِ الجديدةً وعُذها الدهريِّ . ولتبتلْ أجنحةُ النسورِ
على صخورِ الشرقِ . ولتبتلْ أجنحةُ الحمامِ
أفقُ . وشوقُ جامعٍ . ويجوبُ وجهي واضحُ القسَماتِ أسرارَ
الغمامِ !

*

قالوا . وقالت خيبةُ الحُصاد أن صدَّقْتُهم يوماً طويلاً . إخوتي
الزعماء والخطباء والشعراء والفقهاء . كم قالوا وكم صالوا وكم
قالوا وكم جالوا . وقد صدَّقْتُهم يوماً طويلاً . أنبياء الكذب من دهرِ
شهود الزور والبهتان . أشهدُ أنني صدَّقْتُهم حزناً طويلاً . آنسوا
ناراً على جبلي فطافوا بي جماعات . وطافوا بي فرادى . سامعين
ودامعين وقانعين وخاشعين . ومدركاً حزني فقد صدَّقْتُ . بُحتُ
بهاجسي فيهم . تعشَّينا . وغابوا في الظلام . لمحتُ يوضاسَ

العزیز یوشوشُ الحراسَ والعسسَ المُداهِمَ
ونزا النُّزاةُ. غزا الغزاةُ. طغى الطغاةُ. مدجَّجین بقیدهم وبحقدہم
وبویلہم ویلِیلہم. شَدَّوا الحدیدَ علی یدیَّ.. سمعتُ یوضاسَ
العزیزَ یصیحُ بی: قاوِمُ، وقاوِمُ!

ومضیتُ مخفوراً إلی موتی.. وفي موتی رأیتُ اللہَ فی قلبی.
بکیتُ دماً. أراحَ دمی البکاءُ وفتَّحتُ فی قُبلةِ المسمارِ، نازفَةً علی
خَشَبِ الصلیبِ الحیِّ، آلافَ البراعمِ..

أُمِّ. تقوِّمُ علی العذابِ وعاصِفٌ من خلفِ سورِ اللیلِ قادیُّ وبیارقُ
تعدُّ الضواحي بالعواصِمُ
وتوائمُ تلدُ التوائمُ

وأنا أغني ثورة الفقراءِ والمستضعفينَ. أنا أصلِّي. فافتحوا الأبوابَ
یا حُجَّابَ أبوابِ السماءِ. وهَلِّلِي یا أرضُ للمَطَرِ المبشِّرِ بالمواسِمِ!

✱

ویکونُ أن یتأرجحَ المیزانُ بین وثائقِ الحبرِ الجدیدِ
فی مجلسِ الأمنِ السعیدِ

قَلِقاً، و بین وكالةِ الأنباءِ ثم یکون فی نبأٍ جدیدِ

وجهٌ يُطلُّ من الفناء إلى الوجود

ومن الوجود إلى الخلود

وطنٌ يعود ولا يعود

وأنا أزيّنُ جنتي وأرشُ ماءَ الوردِ مبهجاً على كفني. وأصفُرُ حول

تابوتي أكاليل الزفاف زناً بقاءً سوداء، ريحاناً وبرقوفاً. وأنشدُ

للحشود الرملِ. كُتبانِي المنصّة. والكتابُ غزاةً جَفَلْتُ على نجدٍ

تعانقُهُ نُجودٌ

وأنا أعود ولا أعود

عطشي المهدّبُ قاتلٌ. والصخرُ في وطني يدرُّ حليبةً عسلاً إلى

أجرانهم. ويسيل شرياني يسيلٌ ولا حدود ولا سدودٌ والجوعُ

يقتلني ولحمي شائعٌ بين الشعوب وقمح آبائي نذورٌ. والرّدى

كَرَمٌ وجودٌ

وتلوحُ قمصانُ المجانين الكئيبةً من معاهد حكمتي. والوحي يخلعُ

جلده الدامي ليقرأ سورةً أُخرى من القرآن. يتلو راکعاً إنجيل لوقا.

ثم يهوي قارعاً باباً من التوراة. محتقناً بنور الله. يُبصر بي وحيداً

في سراب البید. يرافُ لحظةً ويعودُ مُمتحناً إلى أشياءه

الأخرى يعودُ

وأنا أعود ولا أعودُ

تلدُّ البروقَ خطاي، من غضبٍ، وتخترعُ الرعودُ!

✱

من أين تجمعُ جمرها ورمادها العنقاء؟ كيف ترى ستبدأ نارها؟

وبأيِّ ميعادٍ تفجّرُ لحظةَ الزلزالِ في الزمنِ الضنينِ؟

من أين أبتديء الحياةَ لقهرِ موتٍ يدّعيّني؟

شيدتُ عاصمةً لروحي. خلف سور القدس. عاصمةً تليقُ بمكةَ

الأولى. فرشتُ عباءتي. سجّيتُ فيها جُنتي. يا قومُ كُفّوا عن

خصامكم القديم وهاكمو جسدي الجديد. ألا احملوه جماعةً

ليكون باسم الله صخرةً حلمنا الباقي على الأيام. واتّعظوا بما

قالت لنا

العنقاء من أزل. ألا واستذكروا آلام أهل الكهف. يا أهلي الأحيّة.

واذكروني

في بهجةِ الأعياد. أو لا تذكروني

في عيدِ ميلادي الحزينِ

غادرتُ حَدَّ الجاذبيَّةِ من قرونٍ
وقفلتُ من موتٍ وراءَ الموتِ. ها أنذا من الصحراءِ أبصرُكم. ولا.
لم تبصروني

حزني أميرُ الحزنِ. أينَ حداثقُ الأمواتِ من أحزانكم؟.. وَجُدي
أميرُ الوجدِ. أينَ قلوبُكم مني؟.. وأينَ خرافُ حكمتكم لقرعى في
جنوني؟

✱

بلَّغتُ. تلكَ رسالتي فيكم. وتلكَ دلالتي منكم. وذلكَ آخرُ الأصواتِ
في أبدِ السكونِ

فتزوّدوا بالماءِ. من خبزي لكم جَسَدٌ يكونُ. ووردتي نورٌ. ومن
تفاحتي قَرَحٌ. وفي حَجَرِي يقينٌ ساطعٌ خلفَ الظنونِ
أنذا تبعْتُ عذابكم وغيابكم وضبابكم دهرًا.. فقوموا، واتبعوني!
✱

من هذه الأبوابِ كانَ عبورُ أسلافي إليَّ. وهذه الأبوابُ
تعبُرني لأعبرها إلى ما تُضمِر الأرضُ الفريدهُ
خلفَ المراثي والتهاليل القريبةِ والبعيدةِ

من هذه الأبواب أُعْبِرُ. مُتَقَلًّا بِالموتِ أُعْبِرُ. قَارِعًا بِابِ الحَيَاةِ بِقَبْضَةِ
الروحِ العَنِيدَةِ

" لا " للرماد. وأَلَفُ " لا " لليأس. يَنْهَشُ لَحْمِي الفولادُ. تَغْدِرُ بِي
السُنُونُوتُ. " لا " لليأس. يَنْهَشُ لَحْمَةَ الفولادُ. " لا " " لا " للرماد.
وأَلَفُ " لا " لليأس. هَا أَنْذَا. وَهَا هِذَا زَنَابِقُ مَوْتِي

الآنِيَّ تَصْعَدُ مِنْ خَلَايَا المَوْتِ. تَصْعَدُ مِنْ خَرَابِ الأَرْضِ وَالْإِنْسَانِ.
تَصْعَدُ مِنْ دَمِ الشَّهْدَاءِ. مِنْ وَجَعِ الأَرَامِلِ وَالثَّكَالِي. لَمْ يَزَلْ فَلَكَ
ضَيْلٌ لِلْحَصَارِ. وَإِنَّهُ فَلَكَ ضَيْلٌ لِلْحَصَارِ. خُطَايَ تَغْزِلُ أَرْحَبَ
الأَفْلَاكِ. مَنَوَالِي انْعَتَاقُ الحَلَمِ مِنْ أَسْرِ التَّجَاعِيدِ الدَّمِيمَةِ فِي الإرَادَةِ
وَالرِّيَادَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْقَصِيدَةِ وَالْجَرِيدَةِ

وَإِذَنْ، أُطَلُّ عَلَى فَجَاجِ الخُصْبِ مِنْ مَاوِيَّتِي الأُولَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
أُخْرَى وَرَاءَ المَرَّةِ الأُخْرَى. لِأَوَّلِ. صَوْرَتِي مَا لَوْنَتْ فِي حُلْمِهَا
أُمِّي الجَدِيدَةِ

✱

وَإِذَنْ، أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ أَعْنَةُ خَطَفَتْ جَوَادَ أَبِي الأَصِيلِ. وَأُمْتَطِي
سَرَجَ الرِّيحِ

ودمي يُجلجلُ من شراييني إلى الصحراء: باسم الله، حيَّ على
الكفاح!

وإذن، سأفرغُ صليَّة النار الأخيرة كُلَّها في جُتَّة المومياء.. تاووساً
فناووساً أهيلُ رمانَ أجدادي. وأزرعُ فوقهُ حَبَقاً لأحفادي. أُمسِدُ
إصْبَع الشامبو بأغنية. أرشُ العطرَ في البانيو المكثِّف. ثم أغطسُ
مُسَلماً جِسمي لبنتٍ من بلاد الجنِّ. مغتبطاً ببعثي كاملَ الإدراكِ.
مبتهجاً بصحَّة أُسرَتي. سلِّمٌ وعافيةٌ وضوءٌ في شبابيك القرى.
مُدُنٌ تُعدُّ طعامَها ظُهرًا. مغنيةٌ وفرقتها. وما يسترو يستعدُّ لحفلةٍ
حتى الصباح

وإذن، أقومُ من اغتسالي. جاهزُ الأعضاء. منتصباً. معافى.
مُفْعَماً بالورد. مفتوح الشهية. عاصفاً. لا شيبَ. لا أوجاع في
فَقَرَاتِ أدنى الظهر. حُرّاً من هموم العصر. حيّاً. لا خَبالَ. ولا
ضلالَ. ولا كُساخَ

حرّاً وحيّاً. لا جنونَ. ولا ظنونَ. ولا غضونَ. ولا جراحَ
حرّاً وحيّاً. أَسْتَعِدُّ لسهرةٍ حتى الصَّبَّاحُ
حرّاً وحيّاً. أَسْتَعِدُّ لسهرتي.. حتى الصَّبَّاحُ!

سيناريو فيلم صامت

(أسود-أسود)

من بطولة عبد المنعم شايكن

1

بسم الله

ألف صلاه

أول ما يظهر في الفيلم

فئرانٌ جذليّ تتبعُ عازفَ نايٍ

(CUT..)

طربوشي وعصاي

(CUT..)

وحذائي الضخّم

أوّل ما يظهر في الفيلم

2

لا يُتَقَنَّ السُّبَّاحَةُ
لَكِنَّهُ يَقْطَعُ، فِي الْحُلُمِ الْمَحِيطَاتِ
وَلَا تَحْدُهُ مَسَاحَةٌ..
وَيُتَقَنَّ السُّبَّاحَةُ،
لَكِنَّهُ،

يُغْرِقُهُ الْوَاقِعُ فِي فَنْجَانِ!

3

فِي الْمَوْعِدِ،
لَا قَبْلَ قَلِيلًا أَوْ بَعْدُ
يَأْتِي مُحْتَشِدًا بِالشَّهْوَةِ
مَغْتَسِلًا بِالنَّارِ وَمَاءِ الْوَرْدِ
(سِتْرُومْبُولِي)
فِي الْمَوْعِدِ... يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ
يَتَلَقَّتْ فِي أَرْجَاءِ الْقَاعَةِ
(سِتْرُومْبُولِي)

يجلسُ منتظراً. منتظراً ينهضُ.

يجلسُ، ينهضُ،

لا تأتي

يفتحُ رِبْطَةَ عُنُقِ الوقتِ

(سترومبولي)

لا تأتي

والوقتُ يفوتُ

يتهاوى في المقعدِ.. ويموتُ!

4

قلتُ ما لا يُقالُ

قلتُ ما ينبغي أن يُقال

وَهَيَّئْني السَّهولُ بلا مَنَّةٍ

ووهبتُ الجبالُ

5

سُنْبُلْتي مُكْتَنَزَةٌ

ماذا إذا مرَّتْ بها

بعضُ الطيورِ المعوزةُ
وصارَ حُبزي المعجزةُ؟

6

وارفٌ ظلُّ زيتونتي. وارفٌ
وأنا عارفٌ

أنَّ ليلي طويلٌ طويلٌ

وشمس الصباحُ

بعضُ ما شاءَ لي جسدي من جراحٍ!

7

يدَّعيني الكلامُ

وأنا صامتٌ

صامتٌ... أَلْفَ عامٍ وعامٍ

8

خَبَّتِ الوجوهُ وغابتِ القسَماتُ

فلمنْ هُتِافُ الرُّعبِ يا أصواتُ؟

مُدُنٌ خَوَتْ وقرى خَلَتْ وتخلخلت

أُسُسٌ. ومالت في الردى قاماتٌ

حَشَرٌ. وبعث بالأوائل مائرٌ

وهَمَى الأواخرُ في السُّباتِ، وماتوا

فلمن نداء الرعبِ يا أصواتُ؟

خَبَّتِ العيونُ وضاعت القسَماتُ!

9

سحابٌ، قطيعُ سحابٍ وراءَ قطيعِ سحابٍ

ولا قطرةٌ واعدةٌ

وتمضي صحونٌ وتأتي كؤوسٌ

ولا مائدةٌ

أنا النهرُ ذو الضقةِ الواحدةِ

أنا...العربُ البائدةُ!

10

سيعودُ من أدغالِ غيبتهِ

مع كلِّ الذينَ فقدوا احترامَ العدوِّ والصديقِ

أسد مترو-غولدوين-ماير
سيعود نحياً هراً
لتفترسة الضباع النهمة
على منصة الأوديتوريوم المكتظ
بجماهير العاطلين عن العمل
وقطاع الطرق
والمتسولين

سيعود أسد مترو-غولدوين-ماير
ليلفظ على الملأ زئيره المتلاشي
في كارتون توم آند جيري...

11

هِنِذِي مَأْسَاتِكُمْ فِي أَوْجِهَا
فَجُكُم مَغْتَرِبٌ عَنْ نُصْجِهَا
الْعِبُودِيَّاتِ حُرِّيَّاتُكُمْ
وَالْأَكَادِيْبُ عَوَالِي سَرْجِهَا

إخوتي أنتم، ولستم إخوتي
فانظروني، عكسكم متجها
أمننا، من قرجها جئت، فهل
أنجبتكم أمنا من شرجها؟

12

"ألورد قيوّم"، سمعتُ الصوتَ في وضع السكون
سمعتُهُ ورأيتهُ عبر الجدار. وكان مطلقاً
بماء الورد والكلس المصفى
"ألورد قيوّم".. ورفّ جناح دوريّ على
القرميد.. رقاً
وتنهّد الشيخُ الجليلُ على بساطِ العشبِ في
قيلولةٍ سنّحت، وأغفى
"ألورد قيوّم" ..

حفظتُ الصوتَ ذاتَ طفولةٍ سنّحت،
وقلتُ يكونُ لي حُرّاً على هول الطريقِ
عبرَ الحريقِ

من الحريقِ إلى الحريقِ
ويكونُ وجهُ الشيخِ بعد غروبه في العشبِ
بوصلتي إلى وطنٍ تقنُّعُ اللغاتُ
بوجهٍ منقى
"والوردُ قيومٌ" .. نعوذُ من الجنابةِ
ذابلينَ على رخامِ الصمتِ . منكفئين . منطفئين .
ماذا بعدُ؟
أين تُرى؟
وَمَنْ؟
ومتى؟
وكيفاً؟!

13

قالتُ بصوتٍ معدنيٍّ
لم يبُلِّ قولها فرحٌ ولا ران اكتئابُ
"للموتِ رائحةُ الترابِ"
في غفلةِ الأحياءِ

طعمُ الموتِ
رائحةُ الحياةِ على العذابِ
والموتُ آفتر شيف
يعتادُ الحلاقةُ كل من وُلدوا
الشيوخُ الملتحونَ، النسوةُ، الأطفالُ
عادتهمُ هي العدوى
ورائحةُ الترابِ
موتٌ وميلادٌ إلى يومِ القيامةِ والحسابِ
حملتُ حقيبتها ومعطفها
وغابتُ في الضبابِ..

14

هذا هو المشهد الرابع عشر
رجالٌ ونساء من جنسيات شتى
في جلبةٍ احتفاليةٍ
ما زال الشاعر على حاله من مشاهد سابقة
مشدوداً إلى شجرةٍ مَيّنةٍ

يتهاذى صوبهُ المحتفلون
يملا بسهم الأنيقة
يقتطعون اللحم من أطرافه
ينثرون الملح والبهارات بحذر
ثم يمدّون أيديهم الوجلة
نحو المناقل المتوهّجة بالجمر الطازج
إنه يكنك غير عادي
أوه مستر عبد المنعم شاپلن
يور باربكيو إن وندرقول
أوه. ثانك يو
شانك يو قيري متش...

15

من شاطيء الأحواز يحملني جوادُ أبي الأصيلُ
حَبَّاباً.. إلى قمم الجليلُ
لي غيمتي سرجي، وبرقُ الليلِ مهمازي الجميلُ
قَلَقاً كأنّي الريحُ

والغَايَاتُ تَحْتِي، وَالسَّبِيلُ
شَوْقُ الْغِيَابِ إِلَى الْحُلُولِ
مِنْ شَاطِئِءِ الْأَحْوَازِ يَبْتَدِيءُ الرَّحِيلُ
إِلَى بَدَايَاتِ الرَّحِيلِ
وَدَمِي عَلَى سَرَجِي يَسِيلُ
وَدَمِي يُذْهَبُ فُضَّةَ الْمَهْمَازِ فِي شَغَفٍ
وَيَسْطَعُ نَجْمَةً،
تُعْطِي خُطَا السَّارِينَ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
شَرَفَ الْوَصُولِ،
وَلَوْ تَعَذَّرَ يَادَمِي شَرَفُ الْوَصُولِ
مِنْ شَاطِئِءِ الْأَحْوَازِ أَخْرَجُ
تَحْتَ طَائِرَةٍ مُغِيرَةٍ
لَأَعَوَدَ طَائِرَةٌ مُغِيرَةٍ
تَهَبُّ الْجَزِيرَةَ لِلْجَزِيرَةِ...

16

مهلاً، مهلاً، يا طابور النمل

مالكَ تدخُلُ عاصمةً نائمةً في الظلِّ
ليحلَّ الليلُ
والليلُ يحلُّ؟

17

ZOOM

مئذنةً في رأسها هلالُ
تدخُلُ في علامةِ السؤالِ
تخرجُ من علامةِ التعجبِ
ورجلُ ينزفُ تحتَ ظلِّها
وامرأةٌ

تلطمُ فوق رأسه وتندبُ..

18

تغيبُ مع الشفقِ الغائبِ
إذن، قُضيَ الأمرُ،
ها أنتَ حيثُ ابتدأتَ
رويتَ لنا الحلمَ. مثني ثلاثاً رباعاً

رويتُ بلا كَلَلٍ يا صديقي
وأصغى قضاءً، وألوى قضاءً
رويتُ بكلِّ الوضوحِ المتاحِ
وكلِّ الغموضِ المباحِ
حلمتُ صغيراً. وقلتُ سأحكي لكم ما حلمتُ
حكيتُ لنا ما حلمتُ
ضحكنا، بكيتُ
بكينا، ضحككتُ
وها أنتِ حيثُ ابتدأنا
وها نحنُ حيثُ ابتدأتِ
تغيبُ مع الشفقِ الغائبِ
إذن، قُضيَ الأمرُ، يا صاحبي...

19

رجلٌ يضحكُ لامرأةٍ تبكي
رجلٌ يبكي لامرأةٍ، تضحكُ
رجلٌ وامرأةٌ.

وملاكُ الموتُ
وصبيُّ يوغلُ في الصُّمْتِ..

20

وَلَدَّ مِنَ النِّعْنَاعِ هَاجَ وَمَاجَا
وَدَمَّ أَضْيَاءَ عَلَى الْقِلَاعِ سَرَاجَا
لِيَطَارِدَ الْحِرَّاسَ طِفْلٌ جَائِعٌ
وَصَبِيَّةٌ تَتَسَلَّقُ الْأَبْرَاجَا
فَالطَّيْلَسَانُ عَلَى الرِّخَامِ مَمَرَّقٌ
وَأَسِيدُ أَوْرِدَةٍ يُذِيبُ الْقِتَاجَا
أَلْقَصْرُ أَرْثَجَ بِالرَّدَى أَبْوَابَهُ
لِيَزِيحَ ثَوَارُ الْحَيَاةِ رِتَاجَا!

21

يَتَوَقُّ النُّحَاسُ إِلَى صَوْتِهِ
وَلَا شَيْءَ إِلَّا رَنِينَ الْخَشَبِ
يَتَوَقُّ إِلَى لَوْنِهِ وَيَحْنُ الدَّهَبُ
وَلَا شَيْءَ إِلَّا شُحُوبَ الْأَسَى وَالتَّعَبِ

ولا شيءَ غيرِ النزيفِ القديمِ الجديدِ
فما من عصيرٍ وما من نبيذٍ
دَعِ الشوقَ يا كرمُ
دَعِ محنةَ التوقِ يا صاحبي يا عنبُ
وما ظلُّ شيءٍ من الحزنِ. ما ظلُّ حزنٌ
وما من غَضَبٍ
مضى ما أتى.. وانقضى ما ذهبُ..

22

عَبَّرَ قَتْرِيْنَةُ الكافيتيريا
رَأَاهَا تُحَدِّقُ فِي اللّيلِ
فَنَجَانُ قَهْوَتَهَا لَيْلُهَا
حَوْلَهَا النَّاسُ
يَرْتَشِفُونَ مَشَاغِلَهُمْ صَامِتِينَ
رَجَالًا، نِسَاءً.
فَصُولُ أُنَاقَتِهِمْ زَاهِيَةٌ
إِنَّهُمْ نَخْبَةٌ مِنْ ذَوِي الشَّانِ

والأُسْرَ الرَاقِيَةَ
بَدَخُ كُسُوتِهِمْ وَاضِحٌ
وَهِيَ - سَاقًا عَلَى السَاقِ -
جَالِسَةٌ بَيْنَهُمْ
وَحَدَّهَا... عَارِيَةٌ...

23

نَخِيلٌ يَمِيلُ وَمَا مِنْ رِيَاخٍ
وَيَنْزِفُ وَجْهٌ وَمَا مِنْ جِرَاحٍ
وَيَطْلُعُ بَدْرٌ وَمَا مِنْ مَسَاءٍ
وَتُشْرِقُ شَمْسٌ وَمَا مِنْ صَبَاحٍ
وَنَائٍ يَتَنُّ وَمَا مِنْ أَنْيْنٍ
وَيَصْدَحُ طَيْرٌ وَمَا مِنْ صُودَاخٍ
هُنَا كُلُّ شَيْءٍ بِلا شَيْئِهِ
وَمَا مِنْ عُذُوٍّ. وَمَا مِنْ رَوَاخٍ

24

حَاثِرٌ كَالْبُرُونِزِ

وسيمٌ
ولكنَّهُ خارجُ الجاذبيَّةِ
جاءَ كلُّ المداراتِ
أرضاً وشمساً
تداخلَ في الكائناتِ إلى منتهاها
وعادَ وحيداً
يجوبُ عناصره الأولى
قالت ابنته: "يا أبي،
إنَّ ضوءاً غريباً يراوحُ في الأفقِ.."
قال: "اذهبي يا ابنتي للفراشِ
ونامي مدى الحُلُمِ
أمُّكِ عائدةٌ ذاتَ ضوءٍ غريبٍ.."
وغادرَ منزلهُ
باحثاً عن تفاصيله
في سماءِ قصيَّةِ
خلفَ كلَّ المداراتِ

وانغلقَتْ فيه
دورْتُهُ الدموِيَّةُ!

25

zoom

طفلةٌ حلوةٌ حافيةٌ
تضعُ اللقمةَ الباقيَّةُ
قربَ قَطَّتْهَا الغافيةُ
ثم تعطي أخاها الصغيرَ
طابَةً،
وَتَطِيرُ

صوبَ سربِ القراشاتِ
في ظلِّ ليمونةٍ ذاوِيَّةِ

26

بَطَلُ الفيلْمِ مُضْطَجِعٌ
فوقَ ماءِ البحيرةِ
(يمشي المسيحُ وحيداً..)

و.. " وردّ إذا.. "

بَجَعُ حَالَمٍ

وظلالُ النوارسِ راقصةٌ وحدها

نورايقفُ الحزينُ مريضٌ،

تُكورتُهُ خسرتُ في الرهانُ

بَطَلُ الفيلمِ يحدِّثُه / ساخرًا

ويغطي الدخانُ

مشهداً كابياً.. لا جنونَ ولا عنفواناً!

فجأةً، تسقطُ الكاميرا،

يصرخُ المخرجُ العصبيُّ،

ويُخلي المكانُ..

27

آخرُ ما يظهرُ في الفيلمِ

فتراًنٌ جذلي

تتبعُ عازفَ نايٍ

(CUT)

طربوشي وعصاي

(CUT)

وحذائي الضخم

آخر ما يظهر في الفيلم

THE END

كانون الثاني-١٩٩٩

في القلب صلاح الدين

"في القلب صلاح الدين"
في القلب صلاح الدين"
غنيًا.. ونغني مجد الأمجاد
والسيف النافر من كسل الأعماد
ونغني بيت المقدس ونغني حطين
وصلاح الدين
ونغني.. ورقاب الأكراد
بين الأنشطة والسكن
من إسطنبول إلى بغداد
ونغني
ونغني
"يا ليلى يا عيني"
في القلب.. صلاح الدين!"

البيّنوني

نصفُ أوراقِ نوَّنته غارقٌ
في صناديقِ فينيسيا الغارقة
حبرُ ألحانه كُحلٌ حوريّة
بللّته دموعُ كآبتها الحارقة
غابَ بحارُها من سنينُ
وكسا طُحْبُ الشوقِ غوندولة
بوشاحِ الأسي المخلّي الرزينُ
البيّنوني.. أخي.. يا أنا. يا أخي
أرْعُنُ الماءِ مُنتظِرٌ خالقة
والأداجيو الحزينُ
لم يزلُ وردةً
في ضفيرة حوريّة عاشقة
لم يزلُ شمعةً

في مساء قينيسيا،
تُضيءُ جُسُورَ الحنينِ...

في هجاء يترونيوس

بخطٌ يدي. بصريح الكلام. أضيفُ الى مثنٍ "ساتيريكون"
هجائي لشخصك. يا رَجُلَ القشِّ "يترونيوس" !
سخرتَ كثيراً من الباذلين انحناواتهم تحت أقدامِ
"نيرون" (لا قَدَميه!).. سخرتَ طويلاً...
وَقَوَّدتَ للوغدِ "نيرون". أنتَ اغتسلتَ بدمعِ
ضحاياهِ. رائحةُ اللحمِ في نارِ "نيرون" عطرٌ حلاقةٍ
ذقنك. كانَ قناعُ أناقَتِكَ الفخِّ. تصطادُ
لذاتِ "نيرون" من طُهر أريافنا وبراءةٍ أطيافنا.
أنتَ قَوَّدتَ للخوفِ والذلِّ...
أسلمتَ حزنَ القناديلِ للَّيلِ..
صُغتَ جنوحَكَ في دِقَّةٍ تتماهى مع الخنثى
في رِقَّةٍ تتماهى الى القتلِ
ما أنتَ "يترونيوس"؟

ظَلَمْنَا الثَّعَالِبَ دَهْرًا طَوِيلًا.. قُصَارَى جُهُودِ الثَّعَالِبِ
قَوْتُ ضَيْئِلٌ. وَجُهُدُ الرِّجَالِ الثَّعَالِبِ مَوْتُ بَطِيءٌ
تُسَمِّيهِ بَعْضُ الْمَرَاجِعِ "حُسْنَ النِّوَايَا"
وَكُلُّ الْمَرَاجِعِ تُدْرِكُ أَنَّ الْخَطَايَا خَطَايَا
وَمَنْ أَنْتَ "پَتْرُونِيوس"؟

أُعِيدُ السُّؤَالُ لَصَيغَتِهِ الْجَوْهَرِيَّةِ: "مَا أَنْتَ "پَتْرُونِيوس"؟
ظَلَمْنَا الْأَفَاعِي. قُصَارَى جُهُودِ الْأَفَاعِي الْبَقَاءُ (حُدُودُ الْبَقَاءِ) وَجُهُدُ
الرِّجَالِ الْأَفَاعِي اغْتِيَالُ الطُّمُوحِ الْبَسِيطِ إِلَى الْخُبْرِ (لِلوَرْدِ شَأْنٌ.
وَفِي رَاحَةِ الْبَالِ بَعْضُ الْغُلُوِّ الْمُؤَجَّلِ). أَنْتَ سَلَبْتَ عِفَافَ الْحَيَاةِ
بِبَعْضِ قُتَاتِ الْقُتَاتِ.

جَلَبْتَ لِنَيِّرُونَ عُنُقَ الْخَلِيقَةِ. كَانَتْ سِلَاسِلُهُ الذَّهَبِيَّةُ جَاهِزَةً
لِلْمَجُونِ. وَكَانَتْ ذِكُورُهُ الْمُتَعَبَةُ

عَذَابَ الْبِكَارَاتِ فِي لَيْلَةِ الدَّخَلَةِ الْمُرْعَبَةِ!

وَيَشْهَقُ نَيِّرُونَ

يَزْفَرُ نَيِّرُونَ

أَنْتَ تُدَاوِمُ بِالْبَابِ كَلْبًا أَلِيفًا. وَتُحْصِي

ثواني ملذاته بانبهارات أيامك المُستَهَبَة
وتسألُهُ صكَّ غفرانه لبراءتك المذنبَة!
ينام الطواغيتُ ملءَ ملذاتِهِم. وحريرُ فراشِ الطواغيتِ.
قُمصائُهُم ومَلامسُ أقدامِهِم من حريرٍ. حريرُ
الطواغيتِ عادَتُهُم. وحريرُ الجوارِي مشيئَتُهُم.
إنَّما دودةُ القَرِّ لا تدَّعي غيرَ واجبها الأُولَى
عليها الحريرُ. وليس لها! إنَّها دودةُ آخرِ الأمرِ
يا رَجُلَ القَشِّ "پترونيوس"
ويا رَجُلَ القَرِّ.. "پترونيوس"!
مَلالُ كَسولٍ يُمسدُّ أطرافَ نيرونَ. ها هوذا
يتتأبُّ. طَفَحُ ذكورتِهِ يتقهقرُ. داءُ المفاصلِ
يُمسكُهُ بتلابيبِ شهواتِهِ. إنَّ نيرونَ في آخرِ
الأمرِ شخصٌ من الناسِ. هيكَلُهُ قابلٌ للتصدُّعِ.
ماءُ الزمانِ المتأبِّرُ ينحِتُ في عسفِ صخرتِهِ مسرَباً
للمواجِعِ. ها هيذِي زُرْقَةٌ في شرايينِ ساقِيهِ.
تُقَعِدُهُ في الصبَاحِ وتوقظُ أحزائَهُ في المساءِ

وها هو ذا خوفُهُ من صروفِ الزمانِ

يؤْهِّلُهُ للبكاءِ!

يكابرُ نيرونُ. يعرفُ كيفَ يكابرُ في حضرةِ الدودِ.

لكنَّهُ ماثِلٌ (مثَلُنَا) للفناءِ

ويغضبُ. يصحَبُ. يطردُ من حولهِ بائعاتِ الهوى

والكلابِ الأليفةِ. رُعبُكَ مُتَزِنٌ. إنما قاتلُ رُعبِكَ

الآنَ "پترونيوس"!

تَفَقَّدُ شرايينَ زنديكٍ. يا طالما أنتَ قشَّرتَ تُفَّاحَ

نيرونَ. مَهَّدَ لِسِكِّينِهِ الذهبِيَّةِ مَهَّدَ شرايينَ

زنديكٍ. سوفَ تموتُ كما ينبغي أنَ تموتَ انتحاراً.

لأنَّكَ عشتَ كما يشتهي أنَ يعيشَ انتصاراً. ولن

تستثيرَ بكاءً. سيضحكُ نيرونُ. لا تبكِ. حُرٌّ

بصمتِ شرايينَ زنديكٍ. وارحلُ رويداً رويداً.

إلى أنَ تغيبَ بخزيكَ في عتمةِ الموتِ. يا رَجُلَ

القشِّ "پترونيوس"

ويا رَجُلَ القُرْءِ.. "پترونيوس"!

وها أنذا، بصريح الكلام، بخطّ يدي.
واضحاً، جارحاً،
أضيفُ الى مَثْنٍ "ساتيريكون" هجائي
لشخصك!

ذبيائح قانا

قيلَ لي إنَّهم دُفِنُوا
وأهيلَ لحافُ الترابِ على الجثثِ النَّائِمَةِ
قيلَ لي إنني واهمٌّ
وأنا أبصرُ الدَّمَّ واللَّحْمَ في السَّاحَةِ الْوَاهِمَةِ
ليتني واهمٌّ أَنَّنِي واهمٌّ
ليتني موقنٌ أَنها يقظتي الحائلةُ
ليتني.. إِنَّمَا لَمْ أَزَلْ صَاحِباً
أبصرُ الدَّمَّ واللَّحْمَ في وَضَحِ اللَّحْظَةِ الْقَائِمَةِ
مثلما أبصرُ الدَّمَّ واللَّحْمَ والدَّمَّ والدَّمَّ واللَّحْمَ
والدَّمَّ واللَّحْمَ واللَّحْمَ والدَّمَّ،
في ليلتي الْقَادِمَةِ
مَوْتُهُمْ وَهَمُّكُمْ،
لا تقولوا إذن إنهم دُفِنُوا!

٢٠٠٠ ق.م - ٢٠٠٠ ب.م

أَجَلٌ. كُنْتُ فِي الْعَامِ ٢٠٠٠ ق.م طفلاً صغيراً
وكانَ بلوغِي قصيراً
ولكنْ بَلَغْتُ
لأنِّي.. رأيتُ!
رأيتُ اكتمالي جنيناً تُدَقُّهُ اليَدُ
فِي لَيْلِهَا الْقَرَّةَ
ثمَّ رأيتُ نهوضَ النخيلِ المثلَّةِ
لوجهي على شطِّ رِجْلِهِ
رأيتُ خيولي العرايا
تغادرُ وهمَ الرمالِ المرايا
وتصهلُ في ألفِ لَيْلَةٍ
وَلَيْلَةٍ!
أَجَلٌ. كُنْتُ طفلاً

ولكنْ بَلَغْتُ
لأنِّي حلمْتُ
بحرفٍ ورايةٍ
وأرضٍ بدونِ بدايةٍ
تعانقُ بحرًا.. وما من نهايةٍ!

✱

وفي العامِ ٢٠٠٠ ب.م ما زلتُ طفلاً صغيراً
وما من بلوغٍ،
لأنِّي اشتعلتُ قليلاً
وعدتُ انطفأتُ طويلاً
وعدتُ انطفأتُ
وعدتُ انطفأتُ
وعدتُ انطفأتُ
وعدتُ انطفأتُ!

جلجامش

(اللوحة الثالث عشر)

بيضاء أو سوداء، تَغْبُرُ
غيمة أخرى وَتَغْبُرُ
لا القرابين الجديدة جَدَّتْ أَجَلًا،
ولا أَجَدَتْ صَلاَةً.
وَنُطِلُّ مِنْ أَسْوَارِهَا "أُورُوك"،
لائبة على قَلْقِ الجِهَاتِ
أَيَعُودُ مِنْ كَهْفِ الْغُيُوبِ؟
متى يَعُودُ؟
تَقَادَقَتْ "جلجامش" الصَّبَوَاتُ
واحتشدتْ عليه قِيَامَةُ الْمَوْتِ
وتجربةُ السُّبَاتِ
أَيَعُودُ؟ كيف؟ متى؟ وأين؟
ألا نَجَاءَ عَلَى السَّبِيلِ؟

ألا سبيلَ إلى النجاة؟!

✱

"أوروك" تغسلُ وجهها

في ماء دجلة والفرات

فجراً،

وتُهرعُ للفلاة

سيعودُ يوماً ما،

يعودُ لحضنها المحموم،

سوفَ يعودُ من ترحاله

"جلجامش" المسحورُ بالأسرار،

والمسكونُ بالجلنار،

فجراً ما يعودُ

بين الأيائل والأفاعي والأسود

في كفه قلبُ الحياة

فجراً،

وبين ضلوعه سرُّ الخلود،

"أوروك" تغسل قلبها،

في ماء دجلة والفرات...

✱

ويعود من ترحاله العبثي،

لا "ننسون" تشفع

لا، ولا "عشتار" تقنع

ههنا أشلاء "خمبابا"،

وخلف السور.. مصروعاً..

يفاجيء موته "ثور السماء"

ويعود

(موصدة أحاجي الموت

يا "جلجامش" المسكين. موصدة!)

ولا جدوى من الإبحار في الظلمات

لا جدوى من الإبحار في الأنوار،

آل.. مخض آل

وصدى السؤال من السؤال

يحثو الرمالَ على الرمالِ..

للحُبِّ كاهنةٌ،

وللأفعى تَجَدُّ تُوبِها أبداً

ومن ماءٍ لماءً

لا سرٌّ في سرِّ البقاء!!

لا سرٌّ في سرِّ البقاء..

✱

يا شهرَ آبِ

هل ظلٌّ لي سَقَرٌ على الأهوالِ؟

هل من مغربٍ للشمسِ؟

لي (جلجامش المسحورِ)

هل من مشرقٍ للشمسِ؟

لي (جلجامش المبهورِ)

هل لي غيرُ هذا الصوتِ،

أَمَنَحُهُ وَيَمَنِّحُنِي من الأعماقِ،

هذا الصوتِ: "سافرٌ في الإيابِ!"

من شهر آبِ
ولشهر آبِ
سافرُ
ليحملَكَ الغيابُ إلى غيابٍ..

✱

كتفاك مُرهَقَتانِ،
أدنى من مَمَرِّ الغيمِ رأسُكَ،
أيها المخذولُ
يا "جلجامشُ" العَبَثِيُّ،
هل أدركتَ يا جَسَدِي القديمُ
أنَّ الحياةَ هي النعيمُ لمن يشاءُ،
أو الجحيمُ؟!

✱

جُثْمَانُ "إنكيدو" المسجَّى
عِبْرَةُ الأَيَّامِ فيكَ
أنتَ الشريكُ أمِ النقيضُ،

هو النقيضُ أمِ الشريكُ؟
مرآهُ روحك أنتَ يا جسدي
محطمةً أمامك
وسلامٌ "إنكيدو" المغادرِ وحدهُ
للعالمِ السفلي
صار هُنا سلامك!
فادفنةُ يا "جلجامش" المسكونُ بالموتى
ولا تتركهُ للديدانِ تحت الشمسِ
يا جسدي
ويا قلقي
ويا روحي وشمسي
في عرس "إنكيدو" ومأتمه، رأيتُ
رأيتُ لوعةَ مأتمِي وجنونَ عُرسي
ورأيتُ نفسي
ورأيتُ زوبعةَ السؤالِ
تمتدّ من "أرض الشمالِ"

آلَا يَبَاغَتْ مَحْضَ آلٍ
وَمِنَ الرَّمَالِ إِلَى التَّرَابِ،
مِنَ التَّرَابِ إِلَى الرَّمَالِ
هَذَا أَنَا "جَلْجَامَش" الْإِنْسَانِ
تُلْثَايَ الْإِلَهَ
وَهُمْ،
وَتُلْثِي لِلْقَلَاءِ
جَسَدٌ تَفَادِرُهُ الْحَيَاةُ
يَهَبُ الْخُلُودَ لِمَوْتِهِ
وَيَرَى بِحِكْمَةٍ مَيِّتٍ وَضَحَتْ رُؤَاةُ
أَنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْحَيَاةُ
أَجَلٌ مُّسَمًّى، لَا سِوَاهُ،
وَلَا سِوَاهُ،
وَلَا سِوَاهُ..

قصائد الديوان

| | |
|---|----|
| فاتحة | ٥ |
| الودائع | ٧ |
| العدراء | ٨ |
| اجنّدة | ١٠ |
| صباح الخير | ١٢ |
| أغنية حب فلسطينية | ١٦ |
| اعلان نوايا | ٢٠ |
| سرطان المجد | ٢٧ |
| خمس نجوم | ٢٩ |
| تعريف | ٣٢ |
| مقهانا | ٣٣ |
| رخامٌ لموتك | ٣٥ |
| موجٌ كثير الكلام | ٣٨ |
| بلا فائدة | ٣٩ |
| انطفاء كلاوديوس | ٤٣ |
| سفينة الفضاء المفقودة | ٤٨ |
| رماد السكر | ٥٠ |
| صورة والدين راحلين على جدار منزل جديد | ٥١ |

| | |
|-----|--|
| ٥٣ | تعبُ المعادن |
| ٥٤ | وحدوه |
| ٥٥ | الشرقة العالية |
| ٥٦ | المنفضة |
| ٥٧ | مقطع من محضر تحقيق |
| ٥٩ | في هجاء ابراهيم |
| ٦١ | تراب |
| ٦٣ | نساء النبيذ |
| ٦٥ | نجوم كحك العيد |
| ٧٢ | لغز اغتيال بروفيسور «س» في معهد الفنون الجميلة |
| ٧٧ | لا يعرفون السنديان |
| ٨٤ | في رثاء ابي الحسن المريني |
| ٩٤ | اميرة الآس |
| ٩٨ | جمرة |
| ٩٩ | كل اسمائهم |
| ١٠٠ | ايمان |
| ١٠١ | موجة وكثيب |

| | |
|-----|--|
| ١٠٢ | مطر على كشك الصحف |
| ١٠٣ | سقطوا |
| ١٠٤ | فراقية للاجئين السياسيين في مقاهي اوروبا |
| ١١٦ | الفراء |
| ١١٩ | يكفي |
| ١٢٠ | واحة |
| ١٢٢ | باقة ورد |
| ١٢٣ | فانتازيا |
| ١٢٧ | مريم لاتلديني يا مريم |
| ١٣٠ | لحم |
| ١٣١ | خلف حلم ذهب |
| ١٣٣ | نكوص |
| ١٣٥ | عودة |
| ١٣٧ | تلك العابرة جسور الاس |
| ١٥٠ | اذن، ازرع الحبق في نواويس المومياءات واستعد لسهرتي |
| ١٦٥ | سيناريو فيلم صامت (اسود-اسود) من بطولة عبدالمنعم شابلن |
| ١٨٥ | في القلب صلاح الدين |
| ١٨٦ | البنوني |
| ١٨٨ | في هجاء يبرونيوس |
| ١٩٣ | ذبايح قانا |
| ١٩٤ | ٢٠٠٠ ق.م ٢٠٠٠ ب.م |
| ١٩٦ | جلجامش |

